

نورالدين حنيفه أبوشامة

سيتويّه في عباءة خضراء



إضمامة في قصيدة التّثر

نورالدين حنيف أبوشامة

سِيبُوِيَهْ فِي عِبَاءَةِ خُصْرَاءِ

إِضْمَامَةٌ فِي قَصِيدَةِ النُّثْرِ

- نورالدين حنيف أبوشامة
- من مواليد مدينة الدارالبيضاء\ المغرب
- عضو في الجمعية الوطنية لصقارة القواسم
- خبير وطني في رياضة الأيكيدو
- مهتمّ بمجال الإبداع و الفنّ التشكيلي
- باحث في التربية و الفكر و الأدب
- لوحة الغلاف من إنجازي بعنوان (تشاكلُ عبثي) أكريليك على خشب.

Abouchama24hanif@gmail.com

إهداء

إلى روح تسبحُ في جلالِ الجمالِ و في جمالِ الجلال،
تقضُّمُ كلِّ صباحٍ من وجنتيها خدًّا أو خدّين... تُطعمُ
جوعتي وتزوي عطشي إلى معانقة فكرة الموتِ في
حلّته النبويّة الشريفة.

إلى "سين"

الأيقونة النادرة التي لا تموت.

إضاءة لابد منها:

عَنَوْنْتُ الإِضْمَامَةَ و وَسَمَّيْتُهَا بـ(سيبويه في عباءة خضراء) لِحَاجَةٍ فِي نَفْسِي و قَدْ تُرَاوِدُ أَنْفُسًا أُخْرَى. و قَدْ لَجَأْتُ إِلَى رَمِيزٍ مِّن رَّمُوزِ التَّرَاثِ العِلْمِيِّ، و شَخَّصْنْتُ الِاسْتِعَارَةَ فِي عِلْمٍ مِّن أَعْلَامِ النُّحُو العَرَبِيِّ تَيَمَّنَا بِعِلْمِهِ و اسْتَتْنَسْنَا بِسَهْمِهِ. و الأَمْرُ يَتَعَلَّقُ بِاللُّغَوِيِّ الجُهْدِ "سِيبَوِيهِ". و حُضُورُهُ فِي هَذَا السِّيَاقِ لَا يَعْدُو أَنْ يَكُونَ عِلَامَةً دَالَّةً تَشْدُبُ مِّن شَجَرِ أَخْطَائِنَا و تَقْلُصُ مِّن أَوْرَاقِ هِنَاتِنَا. و تَنْبَهُنَا إِلَى حِجْمِ العَطْبِ فِي تَرَاقِيبِنَا العَرَبِيَّةِ و نَحْنُ نَقْضِمُ مِّن سَمَاحَتِهَا قِضْمًا قَدْ يَشِطُّ بِنَا إِلَى مَا وَرَاءِ الِاسْتِعْمَالِ المَسْمُوحِ فِي حُدُودِ المَبَاحِ.

و مَا دَمْتُ أَنْظِمُ الشَّعْرَ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، و أَنَا القَاصِرُ فِي جِمَاهَا قِصُورًا بَائِنًا بَيْنُونَةً كَبْرَى، رَأَيْتُ أَنْ أَسْتَدْعِيَ كُلَّ قَارِيٍّ يَمْتَلِكُ قَدْرًا مِّن الشَّبَهِ بِسِيبَوِيهِ، و رَصِيدًا مِّن التَّحَكُّمِ فِي نَوَاصِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ العَزِيزَةِ عَلَى قُلُوبِنَا، و نَصِيبًا مِّنِ الِاسْتَتْنَسِ

في دوحه العالم ببعض فيجِه الصائب، أن يتقمّص
روح شخصية "سيبويه" كي يمارس على لغتي
وتراكيبني واجتهادي بعض الرقابة. خاصّة و أنّا كلّنا
يسكننا بعض من " سيبويه" .

ثمّ ألبستُ هذا القارئ المدقّق في اللغة عباءةً
خضراء طلباً لبعض السماحة في رقابته، و التماساً
منه أن يقترب و هو يدقّق فينا و في هذياننا، من
تخوم التفهّم الأخضر كي يتجاوز عن بعض الأخطاء
وبعض الهنات، و عن بعض السهو في تعاطينا مع
اللغة العربية العالية.. فكلّنا خطّائون، و خيرنا
التّوّابون...

غَزَلِيَّةٌ تَلِيْقُ بِكَ

كُنْتُ ذَاكَ الْحَوْرَ الْأَمَجَدَ أَرْسَمُ ، بِالْكُحْلِ النَّارِيِّ بَعِيداً
عَنِ الرَّمَادِ ، إِذْ لَا شَرَرَ يُخَادِعُ الرَّمَادَ...

وَ فِي رَيْثٍ جَلِيلٍ ، كُنْتُ خَدَّ السَّمَاءِ أَلْتُمُ ، وَ كُنْتُ أَنْتِ
الْفَارِهَةَ فِي خِيْمَةِ رَوْحِي ، كُنْتُ ذَاكَ الْعِمَادَ...

لَا لَوْنَ لِلْحُبِّ إِذَا مَا جِيْدُهَا الْأَيْهَمُ دَعَانِي صَلِيفاً أُمَّتْطِي
شَوْكاً وَ قَتَاداً...

كَلَّ الْحُبِّ امْرَأَةً إِذَا مَا فُؤَادُهَا الْأَزْقَمُ عَضَّنِي...
خَاصَّمَنِي وَ الْوِسَادَ...

سَوَالِي فِيكَ: كَمْ شَعْرُكَ الْأَفْحَمُ حَاكِي فَرَعِكَ
السَّرِيسِ؟ وَ قَدْ جَاوَزَ السَّوَادَ...

وَ كَمْ أَشَلُّوْا أَنَا ؟ وَ تُغْرِكِ الْبَاسِمُ لَا يَنِي يُرَوِّضُ فِيَّ
ذَاكَ الْعِنَادَ...

لَيْتَ شِعْرِي، وَ وِدِدْتُ لَوْ هَذِي الْأَنْجُمُ السَّاطِعَاتُ فِي
عَيْنَيْكَ، كَانَتْ صَيَادَا...

الْحَوْتُ الْبَرِيءُ أَنَا، وَ مِنْكَ أَنْتِ الْمَبْسَمُ، طَعْمٌ فِي
اِخْتِيَالِ الْمَاءِ، يَغْتَالِنِي ارْتِيَادَا...

وَ لِرَيْثِ الطَّاوُوسِ غَنْجِ التَّشِّي وَهُوَ الْمُنْعَمُ... مِدْتُ
كَلِّي وَ جَلِّي... حِينَ مَادَ...

شَحَّتْ بِالْوِصَالِ وَ هِيَ الْهَجْرُ الدَّائِمُ... وَ كُنْتُ فِي اللَّقَا،
مِذْرَاراً جَوَادَا...

فَهَلْ لِي مِنْكَ بَرْمَقَةٌ أَحْيَا بِهَا... وَأَحْسِمُ. إِنَّ هَذَا
النَّزِيفَ رَعَفَ الْمِدَادَ...

...

حَافِيَةٌ عَلَى ضَفَافِ قَافِيَةٍ

هَذَا الْمَوْتُ لِحَنِّ غَرِيبٍ. يُكَسِّرُ فِي سَمْعِي كُلَّ
مَجَازَاتِ الضُّوءِ... يُحِيلُنِي خَرِيفًا مِنْ بَلَّورٍ. يَبْحَثُ عَنْ
بَلَاجَاتِ الْعِطْرِ وَعَنْ امْرَأَةٍ تَغْتَسِلُ بِالْفَجْرِ. تَمْشِي
حَافِيَةً عَلَى ضَفَافِ قَافِيَةٍ. غَازَلَهَا الطَّيْنُ ثُمَّ صَاغَهَا
وَزَدَةً مِنْ عَيْنِ الشَّمْسِ.

كُنْتُ طَيِّبًا حَدَّ الْبَلَاهَةِ. أَلْتَقِطُ لِلْمَرْأَةِ وَالطَّيْنِ صَوْرَةً
تَذْكَارِيَةً دُونَ أَنْ أَلْتَفِتَ إِلَى اللَّحْنِ الْغَرِيبِ فِي نَعْرِ
الْمَوْتِ.

...

هُودَجُ الْمَاءِ

هُودَجُ الْمَاءِ يَسِيرُ وَ الْحَادِي نَعْمًا أَثِيرًا يَسْرِقُ
الرَّفْرَفَاتِ الْعَاشِقَاتِ مِنْ سَاحِ الْيَاسَمِينَ.

يُسَائِلُ الْخِذْرَ الْمَكْنُونِ: مَنْ تُقِيمُ فِيهِ؟ هَلْ سَيِّدَةٌ
الْجُرْحِ أَمْ سَيِّدَةُ الْيَقِينِ...؟

و فِي كِلَا الْعِنَاقَيْنِ، نَبَتَ فِي صَدْرِي سُؤَالَانِ: هَلْ أَدْخُلُ
الْجَنَّةَ أَمْ الْجَنَّةُ فِي خَافِقِي تَلَمُّ شَتَايِ الْمَفْوَّضِ فِي
رَسَائِلِ وَفَاتِي؟ وَ تَزْسُمُ لِي قَصْرًا شَيْدَهُ رَمَلُ
الْعَارِفِينَ...

أَمْ أَنْ عَدَنَ الْخُلْدِ فِي صَدْرَهَا وَ فِي خَلْدِهَا شَيْءٌ مَنِّي
يَضْنَعُ فِكْرَةَ التَّوَأْمَةِ. يُرْضِعُ الرَّوْحَ إِلَى الرَّوْحِ بِحَلِيبِ
الرَّيْحِ... وَ يُسَمِّي الْمَوْلُودَ الْعَتِيقَ هَيُولَى الصَّالِحِينَ.

قَدْ كُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا فِي أَرْمَتِي الْعُمِيَاءِ. أَرْسُمُ بِيْرَاعٍ
مِنْ صَدَى... رُقَاقَاتِي الْمَرْمِيَّةِ فِي عِبَثِ الْعَابِثِينَ.

حَتَّى طَلَعَ الْبَدْرُ مُغْرَمًا بِالْوَرْدِ فِي مُحِيَّاهَا اللَّجِينِ،
سَقَانِي مِنْ رَوْحٍ وَرِيْحَانٍ كُؤُوسِ الضَّوْءِ فِي أَنْخَابِ
السَّالِكِينَ.

ثُمَلْتُ وَ لَمْ أَدْرِ حَدَّهَا. كَانَتْ ثُمَالَةً تَسْقِي خَدَّهَا.
شَرِبْتُ حَتَّى انْتَشَيْتُ فَاحْمَرَّ مِنْ حُمْرَتِهَا حَرْفٌ
كَأَسِي. تَالَهُ رَأْسِي، فَعَبَدْتَنِي جَوَارِحِي وَ كَانَتْ مِنْ
الطَّائِعِينَ.

وَ لَمَّا سِرْتُ إِلَى الشَّجَرَةِ سَبَقْتَنِي التَّفَاحَةُ إِلَى
الصَّعُودِ السَّرْمَدِيِّ، تَقْضِي مِنْ الْوَجْنَةِ قَضْمَتَيْنِ:
وَاحِدَةٌ لِتَارِيخِ الْقَبْلِ وَ ثَانِيَةٌ... تَسْتَجِدِّي لِحْنَ الْمُقْلِ...
قُلْتُ وَ أَنَا الْغَارِقُ فِي لَذِيذِ السَّفَرِ: هَلْ أُطْعَمُ مِنْ
جَسَدِ الثَّمَرَةِ أَمْ أَكْتَفِي مِنْهَا بِالرَّيْنِ؟

ترنيمه العينين

يا ناعسةً في أزهارِ الشَّمسِ! خُذي حَفنةً من نُورِ. مِنْ
جُنُونِ هذا الطَّقْسِ، يَخْشَعُ فِي ظِلالِ الرُّوحَيْنِ...

انثري فوق جَسدي بَرَكاتِ العِشْقِ الأَبديِّ. فَلسْتُ
أَدركُ مِساخاتي إِلَّا داخِلَ ترنيمَةِ العَيْنَيْنِ.

فَهَلْ تَظَلِّعِينَ مَنْ دَمِي؟ أَمْ أَخْرُجُ يابِساً مِثْلَ عُصْنِ
تَبْدُئُهُ الصِّفْصافَةُ العَزْلَاءُ فِي جَمْرِ السَّالِكِينَ؟...

شجرة راقصة

أشعلُ نارَ اليقينِ في أصابعي الهَرَمَةِ... أتسلِّقُ
الشَّجَرَةَ الرَّاقِصَةَ مِثْلَ طِفْلِ قَمَرِيٍّ. أغمِسُ قَلْبِي
الظَّامِئَ فِي نَسِغِهَا الْجَلِيلِ... أجتني ظلَّها العَالِي،
أشربُه. فيذبُّحني العَطَشُ الخَالِي. أحمِلُ بَعْضاً مِنْ
ظَلِّهَا المَتَبَّيِّ فِي كَفِّي المْتَشَقَّة، و أفرُّ إلى أَعْلَى
الصُّفْصَافَةِ.

أعانقُ فَنَّتَهَا مُجَجَّةً بِالرُّؤْيَا. أجدُ تاجَ الشَّعاعِ و لا أجدُ
الظَّلَالَ. أحيِسُ أنفاسِي حَشِيَّةً أَنْ أَفقدَ حَفَنَةَ الجلالِ
فِي كَفِّي العَيْنِيَّة.

أمدُّ يَدِي إلى النُّورِ، أسلِّمُ طُفُوسَ الفَجْرِ إلى الشَّمْسِ
المُتَوَجِّة... ثمَّ أنزلُ وَ فِي قَبْضَتِي قَصِيدَةَ.

ها حُرُوفُهَا طينِشٌ ساذجٌ، يُلاجِقُ الفَراشاتِ فِي فَلَاسَفَةِ
الدَّخَانِ. يُطارِدُ أجيحَتَها فِي رَمْلِ البُرْهَانِ...

ينالُ من الرِّفَراتِ غَيْمَةً... سَكَرَتْ وَ ثَمَلَتْ فَعَزَبَدَتْ.
ثُمَّ ضَيَّعَتْ فِي أَعْرَاسِ التَّحْلِيْقِ قَرَابِينَ الشَّمْسِ
السَّاجِدَةَ...

أَخْرُجُ مِنْ ظِلِّي الْأَعْوَجِ وَ مِنْ ظِلِّ الصَّهِيلِ. الْمَلِمُ
أوراق الصَّفْصَافَةِ وَ حُرُوفِ الْقَصِيدَةِ. أَمْزَجَ الْعِظْرَيْنِ
مَعاً فِي قَارُورَةِ الْوَجْعِ. وَ أَرْكَبُ دَفَاتِرَ الْعَوِيلِ. ثُمَّ أَرْقُدُ
فِي الْمَعْنَى شَاعِراً فَقَدْ بَوَّصَلَةَ الْكَلَامِ وَ ظَلَّ عَنْ
حَبِيبَتِهِ السَّبِيلِ...

فَمَنْ يَضْطَاذُ لِي فِي اعْتِقَادِ الْكَلِمَاتِ وَ الْوَرَيْقَاتِ
عَصَافِيرَ الزَّمَنِ الْجَلِيلِ، قَبْلَ أَنْ يَغْتَالَهَا اشْتِهَاءُ النَّارِ
وَ الْبَوَارِ وَ قُبْحُ النَّهَارِ؟ وَ قَبْلَ أَنْ يَسُدَّ اللَّيْلُ مَنَاقِيرَهَا
عَنِ الشَّدْوِ فِي انْبِثَاقِ الْمَوَاوِيلِ...

يَرْقُدُ فِي أَظْلَالِي وَحُشٌّ. لَا يَشْرَبُ مِيَاهَ الْمَدِيحِ. يَسْخَرُ
جَادًا مِنْ أَصَاحِيكَ هَذِي الصَّبَاحَاتِ الْبَلِيدَةِ...
يُقَبِّلُ الْخُرَافَةَ مِنْ قَفَاهَا، وَيُثْمَلُ عَابِثًا فِي سُلَافَاتِ
الْحَقِيقَةِ الْعَنِيدَةِ.
أَنَا طَبِيعِيٌّ وَمُنْهَارٌ، مِثْلَ نَهْرٍ يَجُوعُ عَطْشًا، يَظْمَأُ
شَبْعًا، فِي وَلَائِمِ الرَّمَادِ التَّلِيدَةِ.
لَيْسَ لِي عُشْبٌ أَحْطَبُ وَدَّهَ لِلْمِيَاهِ. وَلَا عَسَلٌ فِي
ضِفَافِي سِوَى نِسَاءٍ ضَاحِكَاتٍ يَغْزِلْنَ الْوَقْتَ الظَّامِيَّ
فِي كَاسَاتِ الدَخَانِ الْعَتِيدَةِ...
يَبْكِينُ مَوْتِي كَلِمَا سَحَّتْ فِي سَمَائِي غِيْمَاتٌ غَيْرَ أَبْهَاتِ
بِعَشْقِي الْوَسْنَانَ وَلَا بِنَبْضَاتِ فُؤَادِي الْوَيْدَةِ.

عن طهر قلب

لا تَنْتَظِرِي عَوْدَتِي وَ لَوْ بَدَتْ أُوْبَتِي رَكْضاً أْبِيض. هي
الْفَسِيلَةُ الْأَرْجَوَانِيَّةُ تُقَشِّرُ مَمَشَاهَا عَارِيَةً فِي وَجْهِ
الرَّيْحِ، وَتَحْلُمُ بِيَسْقَانِ السَّنَابِلِ.

فَلا تَنْتَظِرِي أُوْبَتِي وَ لَوْ سَرَى صَوْتِي سَفْرَ أُوْبَةٍ تَرْكَبُ
نَهَائِيَّ، جَارِيَةً فِي دَمِي الْجَرِيحِ، يَرْجُو الْمَاءَ مَنَاجِلِ.

أَحْفَظِيْنِي عَن طَهْرِ قَلْبِ، اِنْتِظِرِيْنِي عِنْدَ تَخُومِ الْقَمَرِ
وَاحْكِيْنِي لِصَبَايَا اللَّيْلِ صَبَاحاً مُنْفَلِتاً مَن حِكَايَاتِ
الْعِشْقِ الْأَعْبَرِ، يَحْكِي صَفْوَةَ الْمَنَاهِلِ.

اَنْثُرِيْنِي حَصَاداً تَائِهًا فِي قَبْضَاتِ الرَّيْحِ الْعُضْبِي،
بَعْضٌ مِّنِّي عَلَى جَبَلِ، وَالبَعْضُ الْآخِرُ فِي مِيَاهِ
النَّسِيَانِ، عَشْباً أَسِيْفاً لِحَنِينِ الْأَيَّامِ.

يصرُخان و يطُلبانِ في قبضةِ شيخٍ لم يختمَ حصتهُ في
الترانيم، و سالَ انسياباً في جليلِ الوطر... يرسمُ
بحبره الصوفيّ طواسينَ الحيارى الأوائل.

كَيْفَ دَمِي يَشِيخُ ؟

كَيْفَ يَشِيخُ دَمِي إِذْ نِصْفُ جَسَدِي إِشَارَةٌ؟ كَيْفَ
يَشِيخُ، وَاللَّهُ نَحَتَ الْمَاءِ فِي صَدْرِي حَدَائِقَ بِشَارَةٌ؟
كُنْتُ أَنَا الْوَزْدَةَ وَ كُنْتِ أَنْتِ إِزْمِيلَ ضَوْءٍ، يَرْسُمُ الشَّجَرَ
أُغْرَاساً وَيَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَمُدَّ فِي عَمْرِ دَمِي حَتَّى إِشْعَارٍ
آخِرٍ، يَقْطُنُ فِي ضَوْعِ الْبِشَارَةِ.

قبلة استثنائية

انتَشَى النَّهْرُ خَبيراً بِالْفِرَاشَاتِ لَا تَنْمُو عَلَى سَطْحِ
الْبَحْرِ. وَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَضْحَكُ لَامِزاً فِرَاشَةً تَرُومُ أَنْ
تُغْسِلَ وَجْهَهَا فِي تَخْمَةِ الْعَسَلِ وَ قَدْ قَضَى مِنْهَا
بَعْضَ الْوَطْرِ.

قَلْتُ وَ أَنَا الْمَشْدُوهُ لَأَنْفَلَاتِ الْجَمَالِ: سَأُبْدَأُ صَبَاحِي
بِالصَّلَاةِ. أَهْرَبُ يَنَاعِ الْأَجْنِحَةِ إِلَى مَحَارِيبِ الرَّشَاقَةِ.
فَالْفِرَاشَاتُ كَانَتْ مِمْتَازَةً تَضِيْقُ بِالرَّمَادِ كَمَا تَضِيْقُ
بِكَسَلِ الْحَجْرِ.

سَأَرْسُمُ عَلَى خَدِّ اللَّقَاءِ قُبَلَاتٍ مِنْ كَوْثَرِ. أَسَيِّجُ بِهَا
وَجَنَةَ أَتْنَائِي. قِبْلَةً عَلَى خَدِّ فِرَاشَةٍ وَ ثَانِيَةً عَلَى خَدِّهَا
الْأَيْسَرِ، وَ ثَالِثَةً تَحْزُنُ الْفِرَاشَةَ فِي قَلْبِي الْقَمَرِ.

إضاءة

ما من كائن يعيش عزلته،
ويستلذها بامتياز مثل البحر.

...

أعشقت أيها المدى الأزرق مثل عباءةٍ شيخي
المتددةٍ ظلالاً على ثمالتك في كؤوس الشهوة. فلا
تنتحز في رغوة الرجوع أيها العاشق للشمس. ولا
تستز على بوحك، على روحك وهي ترتحل في
استعاراتِ الماء...

غريب أنت، غريب أنت، وموجاتك مبهمّة كالأزل،
جدليّة مثل صمت، عاريةً مثل سماء...

أنا يا سيدي لم أكفرك يوماً ولو أن شفّيتك
مقدرتان للتيه ورأسك للعشب الأخضر... غورك

للذئاب تتوثّب على الصحو و تقضمُ من سداك كلّ
هذا السّواء...

فلا تحدّثني، سيدي عن الموجة تغازل خدك قبل أن
تسافر من قدر الماء إلى أسيرة الأطفال وحكايات
الجدّات تغزلن الليل صمتا مثل هزيمة آثرت على
النصر المُبين هُزال البقاء...

...

شعاعٌ مُدَلِّعٌ

لَمْ يَعُدْ هَذَا الشَّرِيانُ وَهُوَ الْمَتَدَفِّقُ خُضْرَةً قَادِرًا عَلَى
الْكُثْمَانِ. وَ لَمْ يَعُدْ هَذَا الطَّيْرُ مَضْنُوعًا مِنْ ذَاكِرَةِ
الضَّوِّ قَادِرًا أَنْ يُحَلِّقَ فِي السَّمَاءِ الْبَارِدَةِ فِي غَيْبَةِ
النَّجْمَةِ الشَّارِدَةِ.

أَمَّا أَنَا، مُوسُومًا فِي التَّرَاتِيْلِ الْمَضْمَحَةِ بِخُشُوعِ
الصَّمْتِ، فَيَكْفِينِي مِنْكَ سِحْرُ الْمَنْفَى فِي قَلْبِكَ أَيْتُهَا
الْمَائِثِيَّةُ عَلَى قَلْبِي شِتَاءً وَ صَيْفًا.

وَ يَكْفِينِي أَنْتِي إِذَا عِشْتُ، سَأزُقُ فِي عَيْنِ الشَّمْسِ.
أَصْنَعُ مِنْ شُعَاعِهَا الْمُدَلِّعِ كَفَنًا لِي. أَحْتَضِنِي فِي
مِحْفَلِ الْمُلُوكِ، وَ أَنَامُ فِي قَلْبِ التَّارِيخِ ذَاكِرَةً مِنْ
نَهَارِ.

أَصْنَعُ لِعَيْنَيْكَ عُرْساً مِنْ غَابِرِ النُّجُمَاتِ وَ حَفْلاً مُقْتَعاً،
تَرْقُصُ فِيهِ النُّجُمَاتُ فِي صُدُورِ الْأَقْمَارِ...

وَمَنْ أَجْلِكَ أَنْتِ أَيُّهَا الْوَاقِفَةُ عَلَى شَكْلِ دَمِي.
سَأَغَيِّرُ لَوْنَ الْمَوْجَاتِ، وَ أَزُوجُ بِإِذْخِ الْغَيْمَاتِ إِلَى غُورِ
الْبِحَارِ.

سَأَقْتُلِعُ مِنِّْي ذَاكَ الرَّجَلَ الْمُجَلِّجَلَ فِي الْغَارَاتِ.
وَأَكْتَفِي مِنِّْي بِذَاكَ الْوَلَدِ، يَنَامُ عَلَى صَدْرِكَ، يُعَدُّ كَمْ
فِي وَجِيحِكَ مِنْ دَقَّاتٍ، مِنْ نَبْضَاتٍ، مِنْ آهَاتٍ... لَا
يَعْلَمُ سِرَّهَا إِلَّا عَقْلِي الْمَنْشُورُ فِي يَدَيْكَ الْمُخَضَّبَتَيْنِ
بِغُوتِ الزُّنْبُقَاتِ وَ الْيَاسْمِينِ.

سَأَتُّمُّ خَدَّ الْقَمَرِ مِنْ أَجْلِكَ، وَ مِنْ أَجْلِكَ سَأَفْرُ إِلَى
قَلْبِ السَّمَاءِ. سَأَغْسِلُ وَجْهَ السَّنْبُلَاتِ مِنْ شَرِكِ
الْأُتْرِبَةِ، وَ أَمْرُرُ خَطَابَ الْمَحَبَّةِ بَيْنَ الْعَصَافِيرِ وَالْأَغْرِبَةِ،
وَ أَتُنْشِي كَمَا الْوَدُقُ يَدَاعِبُ تُرَابَ الصَّبَاحِ...

جهاتي الأربعة

من تعجن جهاتي المشرّدة في قوارير الموت؟ غير
امرأةٍ تقبض بيقين الأنبياء على نشيج الحياة.

أذكرُ سابقاً و أزلاً، أن دمي ساعة انبثاقه في جوف
القصيدة غسلته فراشه بيضاء، نرحت من قلب
الرنين.

صاغتني أولاً جنوباً يعشق في توقيعاتها كعوب
التراب... و ثانياً شمالاً يعانق في شفتيها فلسفة
السحاب... و ثالثاً شرقاً يمتطي صهوة الغياب...
ورابعاً غرباً تلقنه الصفاة دروس الظل ومواعظ
عارفٍ يكتب عشقه المستحيل على جريد الضباب...

تأويل الريح

يرفض ظلي أن يتبعني. يُحكم قبضته المستعارة
مثل ريحٍ صرصر. يرميني بحجر إلى الضفة الأخرى.
يركض بعيداً عن نرجس النهر...

يخشى مديحي، فيهرول على محيّا الرمل. تبقى
مني روحٌ، أسقط في تأويلها، فأراني فزقداً مُضاءً
باللهب...

وأراني شكلاً من الحاضر، وقد أزخت عليّ امرأة
الخوف شعرها المرسل، مثل أجنحة بلّها القطر، ثم
اغتسلت بالشمس، قبل أن يدركها الموت.

وأنا، منفيّاً في الجفن الناعس، أقتادُ حبري في المتاه.
أسلس البوح نحو حبري. فإذا الحبر يشتكى بطش
الماء...

وعلى رأسي سماء، إكليلٌ من الضوءٍ يحتضن
حطامي اللزج.

من أنا...؟ و من أكون؟

لملمت أنقاضٍ وشتات تناقضاتي مثل أيام تقرأ في
أسمالها سقوط التين من شجري في خضرتة
العمياء.

وعلى غوايات المديح، كنت نحاساً وكنيتِ أنتِ لحظة
امتشاق. مزقتِ الموائيق وجئتِ بأخرى من الزعتر.

من مكان لمكان، من حجر لحجر... حاصرتِ حصاري
بخيوط من ريح. وختمتِ سيرتي البلهاء على
وسائدك المترعه...

أخمدتِ ناركِ ثم أضرمتِ ناري

عناق

يطبق الظل اليقظان على أعناق الورد. يسافر الغيم
خفيفا على أسرة البوح. والمساء يركض سارقا
لذاذات النبيذ المحرم.

يزاحم الليل في انتشاءاته الحرّى. يعطل النهار، يؤخر
مواعيده. يتواطأ و الطلّ، يرسم على هواه خرائط
الوقت دقائق بطيئة... أبطأ من فؤاد أم موسى.

يرمي الفجر في مرايا الانتظار، وأنا أرنو إلى الهوى تلفه
القوارير، مرمية الانكسار، تغتسل تحت اثتيال
الضوء... مكيدة، تفتح غواية المتاه.

يغزّلي نَسْغُ الفرحةِ البِدائِيّةِ هُبوباً، فأنطوي على
هيولى التكوين...

لن أرشق الأفق بالحجر. لن أشق القلب كي
أستخلص الرنين. ولن أوثق مساءاتي الجامحة،
فالوقت أنا... والوقت هي... والترب أنا... والترب
هي...

فمن قال إن الأرض جماد؟ ومن قال إن الطين عاطل
عن اللثم؟ ومن قال إن المياه تتيه عن شموستها؟
...

تماثيل

أما آن لك يا قلب أن تستريح من النقش على
تماثيل البهاء الكاذب؟

لن تصرخَ النَّصْبُ في وجه الريح ولن يرتفع زهو، هو
الفراغ ذاته.

قرون الوعل تتشظى على صفيح الظلام. الطواويس
هباء و أقنعة للبيان. نهارات بائدة. والأغاني ارتعاد
مخملٍ.

فكم تبقى في الياسمين من خطو إلى فقه
الجسارة...؟ وكم تبقى في النهر من صفتيه كي
يطوي هذا اللهاث على رحلات الظلام ؟

فاعلم يا قلب أن قليلا مني وقليلا منك وجليلا منا
يهب الهبوب صليله، يبدد حصصنا من اليأس

الرابض على أفواهنا، يقتلع الشرود من أهداب
الوقت ويضمنا جميعا في خوض الطين والماء،
وعناق السماء...

في شهوة السنابل تتلأؤ على هاماتها ومضات
المناجل.

سنابل... سنابل... سنابل...

شرق الروح

يوشك شكك الشفيف أن يغمر لسان الموج في لذة
البحر. فلا وقت للأسطورة، و جسدك العائم في
استعارات الماء يسرق الجمال و الجلال. يسرق
الخيال، يغمس فساتينك الثملة في عمق اليم،
يقترض عثمته الغابرة، يلون بها ثنيات الروح
والمرايا...

إذن، هي روعة النبض في جنابك... أنتِ كشف عارق
بشرق الروح وغربها، فعجلي يا سيدي بحصار هذا
الترنح الضاحك في شفتيك و في عينيك حتى جنوب
إشعار آخر في شرق الروح...

مثل دخان

مثل دخان، حملتُ عكازي الأعور ورحلت عن لغتي.
لم تعد شرفتي تطل على جارتِي. سَمَّ خشبها الزمانُ
وماتت ريحانتي... هكذا استبدلت بالرمل كل
أجنحتي ورحلت ثانية، أَلتمس من سيدي البحر
بعض سطوتِهِ لتعانقَ سطوتي.

البحر ذاكرتي. و هي كانت أجمل مذكراتي. كنت أغزل
لها من موجه العنيد جنان خلدتها و أرسم لها على
مائه بعض آهاتها و كثيرا من آهاتي...

...

آخر موجة

سيديتي!...

لن أختصر حضورك الوردى في شباك الشهوة. فأنا لا أقبل أن أغلق الباب على انسياب الرمل، ولا الشرفات على حديث الرياح... أحبك في الشمس وفي قلبها وجوفها. وأمّج فكرة الظلام وهي تقض مضجع الحكايات... أحبك في سمتك الخرافي... أنت لي وأنا لم أكن إلا ذاك الشعاع الهارب من فم العشق إلى قلب العشق... فاذكّرني بعضاً منك إذا ما جار الزمان على ضوئي... اذكّرني ثم أغلق باب الرمل على آخر موجة تنكسر في شاطئ منسي.

...

الجديدة فبراير 1998

لشُرودنا عُنوان

وهذا العشق المنسي يكره المنطق، يلغي البرهان.

خطوٌ في مُحَيّايَ وإبحارٌ يطرّزُ ذاكرتي. و في زوارق
الأكف تبدو تلويحاتُ اللثم و القبلِ المُستحيلة
كسورةٍ معظّلةٍ في جسدِ أسطورة... وفيها انتصبت
المناديلُ، و كانتِ المناديلُ لِشُرودنا أجدَرِ عنوان.

الجنونُ حارسٌ جميلٌ على عيون الشمس. و سوسنة
الأنوثة ترقد في خدر الضوء. أما اشتعال الرأس نوراً
وناراً فانكسارٌ مؤقت للظل العزيان...

أنا مجرّد لحظة، و أقلُّ من بُرهة. ترقص على انكواء
الأزمنة. فتقبلي سيدي مني هذا الصدر خبزاً
لخرافاتِ ثوبك المطرز بالصحو، كي أموت قريـر
العين على متن دفاتري، الأخضرِ صفصافُها موتاً

مباركا من يدك المخطوطتين بهذا الانصياع الماكر
الذيذ... الذيذ... الذيذ... الوسنان.

...

كَانَتْ مِلاءَ بَصْرِي إِشَارَةً لِلنَّدى وَ اخْتِفَالاً شَارِداً
بِالظِّلِّ فِي سَوْرَةٍ تَخْطُو عَلَي وَتَر. وَكَانَ الْمَكَانُ عُشْباً
مُخْتِناً بِالْقَبْلِ... فَمَا شِئْتُ أَنْ أُوقِظَ الصَّبَاحَ مِنْ لَذِيذِ
الْوَسَنِ.

رَمَيْتُ بِدَلِيلِ عِشْقِي وَرَاءَ ظَهْرِي، ثُمَّ عَانَقْتُ فِي دَمِي
وَمِيضَ الْجُرْحِ. وَ كَانَ قَدْ اِنْدَفَنَ... وَ سَنَ... وَ سَنَ...
وَسَنُ...
...

وَجَدُ الْوَاصِلِ فِي خَدَّيْهِ

مَاءٌ يَلْبَسُ رِدَاءَ أَخْضَرٍ، يَنْسُجُ عَلَى وَجْهِ الرِّيحِ
صُوفِيَّتَهُ الْوَاقِفَةَ... يَتَوَضَّأُ بِنَدَاءِ اللَّيْلِ وَ يَتَبَتَّلُ بِطَلَّةِ
الْفَجْرِ.

يَنْبَثِقُ وَجْهًا عَارِيًّا مِنَ اللَّهَاتِ. يُطَرِّزُ صَلَاتَهُ فَرَاشَاتِ
مَمْشُوقَةٍ وَ زَعْرَدَاتِ سَمَاءٍ مُؤَنَّثَةٍ.

تُشْرِقُ عَلَى عَيْنِ الْوَاصِلِ شَمْسُ الْوِصَالِ، تَغْمُرُ رُوحَهُ
بِدَمْعِ الْوُصُولِ: خَدًّا مُخَضَّبًا بِجِنَاءِ الرَّغْبَةِ، وَ خَدًّا
مُضْمَخًا بِدَمِ الرَّهْبَةِ.

وَ بَيْنَ الْمَسَافَتَيْنِ، وَقَفْتُ عَيْنُ اللَّهِ عَلَى قَرَارِ الْخُلُولِ.
وَلَمَّا انْتَزَعَ الْمَاءُ بُرْدَتَهُ مِنْ عَلَى ظَهْرِهِ بَكَتِ الرِّيحُ
فَرْحَةَ التَّوْحُدِ. رُوَيْدًا رُوَيْدًا حَتَّى انْتَفَى الْعَدَدُ، وَ حَلَّ
الْوَاحِدُ فِي نَسْعِ الْوَاحِدِ...

هِيَ كَمَا وَصَفَهَا اللَّيْلُ

رَأَيْتُهَا تَمْشِي،
عَلَى عَيْنِ الصَّبْحِ عُشْبًا
أَضْنَاهُ هَمْسُ النَّيَاتِ.

وَرَأَيْتَنِي لَيْلًا ضَامِرًا،
يَلْبَسُ الْخَيْلَ صَهِيلاً،
وَيُغْنِي قُبْلَ اللَّيْلِ زَعْرَدَاتِ.

...

هُوَ فِي عَيْنَيْهَا

وَلَقَدْ رَأَيْتَنِي فِي عَيْنَيْهَا مَاءً يَلْبَسُ رِدَاءً أَخْضَرَ. يَنْسُجُ
عَلَى وَجْهِ الرِّيحِ عِشْقَهُ الْوَائِكِفِ. يَتَوَضَّأُ بِنَدَاءِ اللَّيْلِ
وَيَتَبَتَّلُ بِظَلَّةِ الْفَجْرِ... يُطَرِّزُ صَلَاتَهُ فَرَاشَاتٍ مَمْشُوقَةً
بِزَعْرَدَاتٍ مُؤَنَّثَةٍ وَأَكْفٍ مُخَضَّبَةٍ بِوِلَادَةِ الشَّمْسِ.

...

هَذِهِ الصَّبِيَّةُ الْعَشْتَارِيَّةُ السَّمَاءُ وَالْمُنْتَجِلَةُ
شَخْصِيَّةَ السَّرَابِ، تَسْرِقُ الْخَيْلَ مِنْ عَيْنِي وَتَتْرُكُ
كَفِّي ضَامِرَةً مِثْلَ نَهَارِ شَتْوِي.

تُكْسِرُ الرِّكَضَ عَلَى جَمْرِ الْمَرَايَا، وَتُشْهِدُ فِي وَجْهِ
التَّارِيخِيِّ رَائِحَةَ الصَّبَاحِ الْخَارِجِ تَوًّا مِنْ حَمَامٍ يَسْتَحِمُّ
فِيهِ الْفَجْرُ بَعِيداً عَنْ أَعْيُنِ الشَّمْسِ...

قُلْتُ وَأَنَا أَلْعَنُ جَسَارَةَ الْمَاءِ: كَمْ سِنَّكَ يَا سَيِّدَتِي؟
قَالَتْ... جِئْتُ مِنْ زَمَنِ السَّفِينَةِ، لَكِنْ أَخَّرْتَنِي فِي بَطْنِ
أُمِّي الْحِكَايَاتِ...

...

نُزْهَةٌ الْإِشَارَاتِ

فِي لَمَاكِ تَرْتَعِشُ شَهْوَةُ النَّهْرِ. أَهْجُرُ الْبِلَادَ فَتَتَّبِعُنِي
صَرَخَاتُ السَّيْلِ. أَفْتَحُ بَابَ الْجُنُونِ فَتَجْرِفُنِي
سَنَابِكُ الْخَيْلِ... وَإِذَا عَيِيْتُ أَزُقُّ قَرِيرَ الْعَيْنِ عَلَى
نَشِيدِ الشَّفَاهِ فِي انْتِظَارِ لُغُو النَّهَارَاتِ...

...

قلق الياسمين

أيتها الإنعقادُ الماكِرُ في حاجِبِها الهَلالِينِ. هل أمرٌ
كريمًا لا ألتفتُ... أم أسجَلُ حُضوري الأثِمِ في مَهْرَجانِ
الْفِتنةِ ؟

أرى المرايا حاسِدةً، و أرى انسكابَ الوُرْدِ في وَجْنتِها
دماً يُغازِلُ دمي...

و أرى الموجةَ حاشِدةً، تَبني في رَوْعي اشْتِهاً
مَمْنوعاً من العومِ... يركبُ سُفنَ الوَعْرِ و يغرُقُ مَرَّتَيْنِ
في مِعصمِكِ المرمرِ.

هيا يا قَلقاً في عُنقِ الياسمينِ... هاتِ عَفْوِيَتَكَ
السَّاحِرَةَ. صُمّني إلى يَناعِ الحدايقِ شَجراً عارياً من
الطينِ.

هَاتِ سُؤَالَكَ الْأَخْضَرَ عَنْ سِرِّ الْعُشْبِ الْمُسْتَكِينِ.
وَعَنْ فَتَاةٍ عَرَبِيَّةٍ يَنْبُعُ الْمَاءُ فِي يَدَيْهَا مُذْ وَصَعَ الشَّجَرُ
سِرَّهُ فِي قَلْبِهَا ثُمَّ اسْتَقَالَ مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً حِينَ أَيْتَعَ
التَّفَّاحُ، وَ مَرَّةً حِينَ سَقَطَ الْكَلَامُ يَمَضُغُ الثَّمَرَ الْمُحَرَّمِ،
وَيُخْفِي فِي صَدْرِهِ رَغْبَةً فِي النَّزُولِ الْمُبِينِ.

...

سيرة لهذا التراب المنسي

لست تجرّيدياً إلى الحدّ الذي أرى فيه أثنائي وُرْدَةً من
سراب.

و لست واقعيّاً وقحاً في مرآيا الرّماد، حتّى أحولَ
الزّرقَةَ البحريّة إلى عطشٍ من تُراب.

أنا ابنُ بينَ بين...أزفُعُ فنّ الأحمَرِ إلى سماءِ العشبِ.
و أُرْجِي سُكوتَ السّوادِ إلى حينِ تكتَمَلُ دُورُهُ
السّمسِ في شراييني.

أنا ابنُ التّرابِ المنسيّ في جِبابِ السّناجِلِ. مدرستي
الأولى، سكنتُ في عَفّاتِ المناجِلِ. لَبَنِي الأُوحدُ كانَ
فَجْراً بارداً يَبُوسُ وجّهَ الحِصادِ في عطشِ المَوايسِمِ.

يُرْقُبُ السَّمَاءَ أَنْ تُبَدَّلَ عَجَلَاتِ السَّحَابِ فِي عَيْنِ
الْمَنَازِلِ، وَفِي صَمْتِ الْمَغَازِلِ.

لَمْ أَظْلِمَ يَوْمًا سُنَنَ الْبَسَاطَةِ فِي مَوَاعِيدَ كَاذِبَةٍ لَابِئَةٍ
الْجِيرَانِ. وَ لَمْ أَقَلِّمْ ظُفْرًا وَاجِدًا لِيَزِمِيْلَةَ الْفُضْلِ
السَّابِعِ.

لَمْ أَقَشِّرْ عَيْنَيْهَا اللَّامِعَتَيْنِ فِي امْتِحَانِ الرَّشْدِ... وَ كُنْتُ
أَحْرُسُ قَلْقَ الْأَصْدِقَاءِ فِي زَنَايِنِ الْبَقَاءِ .

لَمْ أُدْرِفُ دَمْعَةً سَخِيَّةً عَلَى بِلَادَةِ الشِّتَاءِ. صَيْفِي كَانَ
نَحْوًا عَرَبِيًّا يَرْفَعُ الْفَاعِلَ فِي رَمَادِ الْإِشَارَةِ. وَ يَنْصِبُ
الْمَفْعُولَ فِي يَقِينِ الْبِشَارَةِ. يَمْتَجِنُ الْحَالَ وَ الْمُحَالَ
فِي صَخَبِ الْعِبَارَةِ. حَتَّى وُلِدْتُ كَفِّي شَاعِرَةً.

حِينَهَا، نَبَتَتْ فِي قَلْبِي أَزْهَارُ الْجَسَارَةِ...

وَالْيَوْمَ...أَرْفَعُ كَأْسَ انْتِشَائِي. بَارِدَةً فِي عَافِيَتِي وَ فِي
وَبَائِي. نَازِحَةً مِنْ بَيَادِرِ جَدِّي... أَشْرَبُهَا قَمْحاً مُقَطَّراً فِي
هَيْئَاتِ الشَّجَرِ.

ضَوْءٌ هُنَا وَ ضَوْءٌ هُنَاكَ. وَالْفَتَى الْخَجُولُ خَرَجَ فَارِساً
مَنْ قَلْبِ الْقَمَرِ، يَشُدُّ إِلَى بُرْتُقَالِهِ الْحَزِينِ كُحْلَ امْرَأَةٍ
تُشْبِهُ السَّفَرَ وَ السَّفَرَ.

يُقَسِّمُ لَهَا غَلِيظَ الْيَمِينِ أَنَّ النَّبْضَ شِعْرٌ. وَأَنَّ الشَّعْرَ
رِيحٌ وَ رَوْحٌ... وَأَنَّ لِلزَّجَاجِ زَعْرَدَاتٍ تُكْسِرُ فِرَاعَ
الْهَمْسِ فِي عَيْنِ الشَّمْسِ جِئِنَ الشَّمْسُ تَكُونُ وَاقْفَةً
عَلَى شَهْوَةِ الْمَوْتِ فِي أَسْرَةِ الْإِنْتِظَارِ...

وَ جِئِنَ تَكُونُ خَلِيلَتِي مَرَايَايَ الْخَالِصَةَ فِي دَوْحَاتِ
الْيَقِينِ، تُلَقِّنِي أَجْمَلَ الدُّرُوسِ فِي فَنِّ الْإِحْتِضَارِ...

أثنى الغيم

في يقين الرّماد لا يحتاج وجهي إلى جمرة. لا العدمُ
يصوغُ عطشي و لا الندمُ شريعتي. لا ، و لا تُرتبني في
سلالِ الخوفِ خبزةً مدخجةً في سواكِ ثمرة. أو امرأةً
تخرجُ سافرةً من طلقاتِ العراء. تقضمُ تاريخها
الأحمرَ نبيذاً يُخاصمُ عتيقَ الخمرة.

أدعو إلى كفي أثنى الغيم كي تغرس في ثنايا روجي
خزامى المحاريب و سنبلات السجود. حتى إذا أذنتُ
لصلواتي انثالت في جوامعي كلّ الحضرة.

يا ورق الصّفا العالِي هل إذا سمقتُ إليك
تغصّمني من الدّخان؟ أم النّهرُ في تجاعيدك أرسلَ
الموجَ العتيق سؤالاً في جديرِ الإمكان؟

ها أنا الآن لغةٌ محمّلةٌ بالطعنات، تعانقُ حُطامها
الأزرق، تُبدّد في مراثي أرمدها بعضَ أجنحتي
الممكنة في شوارع الكتمان.

مناديلٌ من خُزَامِي

قصائدي التي لم ترحلْ بعدُ هيَ المناديلُ، نزلتْ من
قلبِ الخُزَامِي، توثقُ لِدُمَعَاتِ عَلِيٍّ وَجَنَاتِ... وتَعَشَّقُ
البُكَاءَ على كَتِفِي.

هي طيورٌ من سَمَاوَاتِ سَبَأَ، تُرْسِلُ المَرَايِلَ بَيْنَ
أَنفَاسِ مُهْرَقَةٍ على ضِفَافِ الرِّوْحِ البَعِيدَةِ. تَشْرَحُ
لِأُنثَى الهدهدِ سِرَّ المَاءِ تحت أَقْدَامِ المَلِكَاتِ وَ تَصْقَلُ
تَاجَهَا المَكِينِ منْ صَدَى الوَشُوشَاتِ.

تَنْشُرُ الشَّعْرَ مَجْدًا لِلْعُيُونِ العَسَلِيَّةِ، تُرْسِلُ أَهْدَابَهَا
فِرَاشَاتٍ وَ رُفْرَفَاتٍ فِي مَرَايَا الهُدُودِ الأَمِينِ.

هَآ أَنَامِلُهَا الورْقِيَّةُ تَغْزِلُ إِنْتِظَارِي فِي مَنَاسِجِ السَّفَرِ...
تَغْزِلُ حَئِطَ الرَّهَبِ عَن سَدَى الرَّغْبِ وَ تُرْسِلُ صُوفَ

العشق إلى قصر النبي الوسيم كتاباً مرشوشاً بدمع
الغيم الرحيم.

صِيحَةُ الْمَاءِ

هَآ الْمَآءُ صَيْحَةٌ فِي أَصَابِعِي الْحَجَرِيَّةِ. وَهَآ الضُّوْءُ،
سَيْرَةٌ لِلزَّنْبِقِ الْقَدِيمِ. يَسْجُدُ فِي عَيْنِ الْقَمَرِ، يَبُوسُ
الْمِحْرَابَ فِي عُرْسِهِ الْأَخْضَرِ.

يَصُوغُنِي يَقِينًا سَمَاوِيًّا...يَخْشَعُ فِي مَعَابِدِ الْعِشْقِ.
يَحْوَلُ الْمَسَاءَ إِلَى نَرَجِسَةٍ، وَالضُّبَابَ إِلَى نَوْرَسَةٍ.
يَغْمُرُ كَوْنِي الْمَشْرَدَ بِعَبْقِ الْعَطْرِ فِي خِرَافَاتِ اللَّقَاءِ، ثُمَّ
يَشْرِبُنِي ازْتِشَافًا سَاحِرًا لِكِيمِيَاءِ الْعَيْنِ وَكُحْلِ الْعَيْنِ
حِينَ الْعَيْنُ تَعْجِنُ بِقَايَا رُوْحِي حِدَائِقَ لِسَيِّدَةِ الْقَلْبِ،
يُنَابِغُ لِرُضَابٍ مَمْنُوعٍ عَلَى ظَمْئِي الْأَسْطُورِيِّ.

هَآ أَنَا أَسُّ يَتِيمٌ فِي مَزْهَرِيَّاتِ الْاِتْتِظَارِ. وَجُدِي صَمْتٌ
شَائِكٌ، وَ قَلْبِي ظَهِيرَةٌ بِغَيْرِ ظَلٍّ...

أقولُ فيقطر صدري اشتعالاً في بطون المُنز، أصمّت
فتحكيني الرياحُ انشغالا في عُرفِ الحزنِ دمعاً
تاريخياً يحكي حالاً و حالاً...

أيّ حلِمِ هذا يرسلني وحيداً إلى جزيرة الأجراس؟
الشمسُ فيها عصفورة من نحاس. أجنحتها مناماتُ
ناقصة، فيها الثَّغرُ حرامٌ والبكاءُ قدرٌ يزهرُ في يد
الصباح... و اللّقا كلام.

فأيّ غصّة هذه تدفع الجسدَ إلى شباكِ الغيمِ ؟ و أيّ
سحابةٍ تُقلّني إلى هناك، كي أرفلَ في قصور الاشتهااء
و أستيقظَ على صياحِ الغناء؟...

قال لي شَيْخِي وَهُوَ الْمَسْجِيُّ فِي مُجْمَلِ الْكُتُبِ: صِه
أَيُّهَا الْمَخْمُورُ بِزَهْرِ الْيَاسْمِينِ، فِي شَفِيفِ الضُّوءِ
وَضَوْعِ الرِّيَاحِينِ...

أَغْمِضْ نَبْضَكَ حَتَّى يَمُرَّ الْعِطْرُ فِي خَطْوِهَا الْحَاكِي.
غُضَّ الظَّرْفَ عَنِ قِصَّةِ وَهْجِهَا مِنْ قُنَّةِ رَأْسِهَا حَتَّى
أَحْمِصِ الْقَدَمَيْنِ...

قَلْتُ وَاهاً وَاهاً... هَا أَنَا أَمُوتُ ثَانِيَةً فِي حِضْنِهَا مَرَّتَيْنِ
بَعْدَ أَنْ نَامْتُ فِي كَفِّي بُرْهَةً أَوْ بُرْهَتَيْنِ.

...

كف صفصافة

تَذْهَبُ فِي أُمُومَةِ الشَّجَرِ مِثْلَ صَفْصَافَةٍ عَارِيَّةٍ، وَتَرْسُمُ
فِي نَسْغِهَا نَشِيحَ مِيَاهِ يَتِيمَةٍ وَصَرْخَةَ رِيحٍ.

هِيَ مِنْ أَهْلِ الْوَرَيْقَاتِ وَالْأَفْنَانِ الْمَالِحَةِ. تُرْتَّبُ عُنْفَ
الظَّلَالِ وَفَرَاغِ السَّلَالِ فِي أَرَاجِيحِ الْمَاءِ...

تُرْسَلُ الثَّمَرَاتُ فِي حَجَرِ الْأَمْهَاتِ وَتَدْعُو لِهَنْ بَلُونِ
التَّفَاحِ.

تَلْبَسُ الْخُضْرَةَ شِرْزَةً وَتُقَلِّمُ أَظْفَرَ الْإِنْتِظَارِ بِأَسْنَانِهَا
الْقَدِيمَةِ.

هَا سَيِّدَةُ الصَّبْرِ الْخُرَافِي تَحْرِقُ مَنَادِيلَ الدَّخَانِ. تُرْسَلُ
السَّمَاوَاتِ سَفْرًا قَرِيبًا لِمَطَارَاتِ الْيَقِينِ. تَلْوُحُ
لِلصَّابِرِينَ... أَنْ وَدَاعًا إِلَى حِينٍ...

وَأَنْ لِقَاءَ جَمِيلًا ... بَعْدَ صَهْدِ الْأَيْنِ...

تَرْجِعُ الصَّنْصَافَةَ وَفِي كَفِّهَا هَدَايَا... أَقَشُّرُ وَرَقَهَا
الصَّقِيلِ... أَفْتَحُ عُلبَتِي مِثْلَ طِفْلِ بَدِيلٍ. أَجِدُ الْمَرَايَا
وَصَخَبَ الصَّبَايَا... تَطِيرُ مِنْ جَوْفِهَا فَرَاشَةٌ وَحَايَا...

أَضْحَكُ وَتَضْحَكُ الشَّجَرَةُ. ثُمَّ أَعَانِقُ فِي شَهَوَاتِ
الْحُقُولِ تَضَارِيَسَ الْغَوَايَةِ.

...

تقرأ قصائدي فراشة، طويل صبرها مثل جدل
فلسفي.

تحكيبي امتداداً شقيماً لطفولة عبقرية ترفض تاريخ
السكون. تنسج ريشها المضرم على قبلة السماء في
قبل المساء.

وترشح الخطو فيها خارج الرمل و التراب.

تذكر أن مشيئة الريح أكذوبة. وأن الله اختار
الصبيبة لامتحان العذوبة. وفي ذاكرة الزمان أسكنها
الظلال... أفرغ قلبها من كل السلال إلا سلة الكتاب.
قرأته قبل أن يستوعب وصاياها ذاك الشيخ المهاب.

أسكتت همّة السالكين و أغلقت في وجه الظلام كل
الأبواب... قصمت من شغراً أمها خصلات ذهبية

تَخْتَزِنَ الْجَمَالَ الْمُعْتَى وَ تُقَمِّنَ فِي أَعْرَاسِ الصَّبْرِ.
تَخْتِمَنَّ جَلِيلَ الْجَلَدِ بِفَضْلِ الْخِطَابِ...

تَصْرُخُ الصَّبِيَّةُ وَ الهمسُ شَيْطَان. تَهْمِسُ الْغَادَةَ
وَ الصَّراخُ بُرْهَان. وَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعِرْفَانِ قَالَتْ: هَاتِ
يَدَكَ أَيُّهَا الصَّالِحُ فِي الْخُطُوطِ الْغَابِرَةِ... هَاتِ.

هَاتِ لَوْنَ غُورِكَ، هَاتِ جِبْرَكَ الْمُتَدَلِّيَ فِي سَمَقِ
الْخُرَافَةِ... أَعْطِيكَ الْيَقِينَ أَنْ قَلْبِي مَرْتَعٌ لِغَزْلَانِ، وَ أَنْ
طَيْشَكُمْ الْعَالِمَ صَرَبٌ مِنَ الْعُومِ فِي لَجِيِّ الْبُهْتَانِ...

فَاتْرُكْ جَسَدِي يَشْرَبُ أَسْرَارَ الْوُرْدَةِ. يَلْهُو مِثْلَ
فِرَاشَةِ أَبَقَّةٍ عَنِ دِينِكُمْ الْخُسْرَانِ.

دَعْ مَا يَسْكُنُنِي يَتَصَالِحُ وَ صَوِّي. يَتَنَاغَمُ وَ سَمْتِي.
يَأْخُذُ ظِلَّهُ مِنْ شَمْسِي حَتَّى يَسْتَقِيمَ الصَّفْصَافُ
شَجَرًا وَارِفًا يَخْرُجُ إِلَى عَرَاءِ الرُّوحِ، يَزْفُلُ فِي ذَاكِرَةِ
أُخْرَى غَيْرِ ذَاكِرَتِي...

اَثْرُكُوا ذَاكَ الْوَسِيمَ فِي جُمُوعِ الرَّاجِلِينَ فِي دُرُوبِ
أَدْغَالِي الصَّامِتَةِ. اَثْرُكُوهُ يَقْتَرِبُ مِنْ فَهِيهِ الْمُتَوَثِّبِ.
يَقْبِضُ عَلَى شُعَاعٍ مِنْ ذَهَبٍ... يَمَسُّحُ جَبِينَ الرَّهَبِ.
أَسْكُنْ وَتَسْكُنْ فِيَّ كُلِّ أَشْكَالِ الْعَطَبِ.

هَاتِ يَدَكَ أَبْتَاهُ أَقْبَلُهَا. ظَهْرًا عَنْ قَلْبِ، أَسْرِقُ مِنْهَا
رِضَاكَ الْمُتَبَقِّي... ثُمَّ أَصُوغُ مِنْ ذَاكَ وَذَا عِبَاءَاتِي،
وَبُرْنُسًا لِقَلْبِي الَّذِي انْكَتَبَ وَعَقْلِي الَّذِي لَمْ يَنْسَحِبْ
وَرُوحِي الَّتِي غَطَّتْكَ مِنْ بَعِيدٍ... وَ عَنْ كَثَبِ.

حالة تسلل

تَسَلِّينَ إِلَى جَسَدِي مِثْلَ عُصْفُورَةٍ بَلَّهَا عِظْرُ
الْمَسَاءِ. تُزِيلِينَ الرَّفْرَفَاتِ إِلَى وَجْهِ الْعَاطِلِ مِنْ
الْعِشْقِ...

أَمْسِكْ بِالْفِكْرَةِ... وَارْتَبْ أُجْحَتَكَ تَزْيِيئاً حَرِيرِيّاً
مُقَدَّساً يُوحِّدُنِي وَالْقَمَرَ.

أَظْلُبُ مِنْ آلِهَةِ الضُّوءِ أَنْ تُثَبِّتَ لِي أُجْحَةً مِنْ ظِلَالِ.
وَمُنَاقِيرُ مَنْ عَمَّثَ. أَسْأَلُ السَّمَاءَ عَنْ جُنُونِ التَّخْلِيْقِ.

تُجِيْبُنِي الْمُنْزَنَةَ وَفِي يَدَيْهَا حَبْلٌ مِنْ أَنْوْثَةٍ غَابِرَةٍ...
تَقُولُ: ضُمَّ لِحَظَةَ السَّحَابِ إِلَى تُرَابِ الْقَدَمَيْنِ ثُمَّ
اعْجِنِ رَعْبَتَكَ الطَّفُولِيَّةَ بِمَاءِ الرُّؤْيَا... وَاقْفِزِي فِي اتِّجَاهِ
النَّارِ، تَجِدِي الْبَحْرَ سَمَاءً وَالْبَرَّ دِهَاءً وَالْبَرْزَخَ
الْمُسْدُودَ جِلَاءً...

عُدَّ الْخَوَافِي مِنْ رِيَشِكَ رِيَشَةً رِيَشَةً... رُشَّ الْخَفَقِ
بِعِظْرِهَا الْبَارِيزِيِّ. عَانِقُ ثَغْرِهَا السَّائِلَ عَنْ قَدْرِ
الْعِنَاقِ. يَكُنْ لَكَ الْمَوْتُ فِيهَا قَدْرًا لَذِيذًا، وَ يَكُونُ لَكَ
الْعَيْشُ فِيهَا مَحْضَ تَفَاصِيلٍ...

خاتمُ الفراشات

أرى غدي خطواً مزمياً في ثرى الغيب. أرى يومي
سَطواً على انكسارِ النارِ في رَمادِ هذا القلبِ.

فأني ماضٍ هذا الذي فَتَحَ شَرائِعَ الخطوِ على جُنونِ
الهُدبِ... هُدْبٌ يَسْحَرُ الأشياءَ في سَريرَةِ السَّوَالِ.
وهُدْبٌ ثَانٍ يُزْعِرُهُ عُرْسُ البَيَاضِ إلى عَشْبِ السَّوَادِ
ولا يَنِي يُوزَعُ المَوَالِ، بَيَاناً هُنَا و بَيَاناً هُنَاكَ على
مَقاماتِ النَّصَالِ. تَعَصِرُ خَاصِرَةَ الحَبِّ. فَيَموتُ في
غَوَايَاتِ الهَجْرِ كما يَموتُ الطُّفْلُ الصَّغِيرُ يَتَهَجَّى في
كَفِّهِ العَاشِقَةِ وَصَايَا الخِيَالِ.

و هُدْبٌ ثَالِثٌ أَشْهَرَ في وَجْهِهِ لُغَةَ السَّعَاعِ فأخيانِي...
حَرَكَ في جَوْفِي المُنْخَنَ وَجَعَ التِّرَاعِ وَرَجَعَ التِّنَاعِ.
فَكُنْتُ أَنَا السَّعِيدِ في بَدَلَةِ العِيدِ، أُرْسُ مُحْيَا الذَّاكِرَةَ
بِقَنَادِيلَ مِنْ شُمُوسِ الخِدَاعِ.

أَصْعُهَا جُسُوراً مَنْ رَمَل، وَ أَمْرُ الْأُفْرَاسِ الشَّاهِقَةِ أَنْ
تَرْكُضَ عَلَى ثُغُورِ الْكَلَامِ. حَتَّى إِذَا رَشَحَ اللَّبَانُ
وَأَزْتَحَى فِي قَبْضَتِي ذَاكَ الْعَنَانَ قَدَّرْتُ حَجْمَ الْحُفْرِ فِي
عُمُوضِ الْقَدْرِ.

عَرَسْتُ مَعَاوِلِي الصَّغِيرَةَ فِي قَلْبِ التُّرَابِ، أَسْأَلُ غُورَهُ
عَنْ حَبَّةِ مَائِسٍ تَرْقُدُ فِي الْغِيَابِ. حَدَسْتُ لَوْنَهَا
الشَّفِيفِ، مَسَحْتُ عَنْ وَجْهِهَا بَقَايَا التُّرَابِ الطَّفِيفِ...
حَتَّى دَاعَبَتْ أَصَابِعِي بِلَوْرَهَا الْمَجِيدِ وَ أَنْاقَتْهَا
الْمُزْهَرَةَ فِي أَكْمَاتِ عَيْنِي الْمُدْتَرَّةِ بِسُنْدُسِ الْغُوَايَةِ
وَعُنْفِ الْحِكَايَاتِ الْمُسْفَرَّةِ.

حَمَلْتُ الْبِلْوْرَةَ فِي قَلْبِي، عَجَنْتُ تُوءَاتِهَا الْمُسْتَنَّةَ
وَالْحَبِيبَةَ فِي خَاصِرَاتِ الْجُرْحِ اللَّيْبَةِ... خَرَجَ دَمِي مِنْ
دَمِي خَاتماً عَلَى شَكْلِ فَرَاشَةٍ.

حَمَدْتُ اللَّهَ حَمداً وَ سَكَنْتُ فِي دَهْشَتِي الْعَجِيبَةِ
أَعْشَابُ الْبَشَاشَةِ. نَظَرْتُ إِلَى هَذَا الْعِشْقِ فِي يَدِي...
قَلْبُهُ فِي رُوحِي تَقْلِيباً بَيْنَ أُمْسِي وَ يَوْمِي وَ غَدِي

الَّذِي أَضْحَى قَرِيبًا... فَاثْبَرَى إِلَى رَوْعِي سُؤَالَ مَنْ
تَكُونُ صَاحِبَةً هَذَا الْمَوَالِ ؟

حَمَلْتُ الْخَاتَمَ قَدِيمًا حَتَّى ظَنَنْتُ الرَّجَاءَ عَدِيمًا. وَ لَمَّا
انْكَسَرَ فِي يَدَيَّ بَعْضُ الزَّمَانِ وَقَفْتُ أَمَامِي فَارِهَةً
الْقَدِّ، يَمْتَصُّ جَمَالَهَا الْخُرَافِيَّ كُلَّ الظَّلَالِ وَ كُلَّ النَّارِ
وَالنُّورِ مِنْ جَنُوبِ الرُّوحِ إِلَى الشَّمَالِ.

تَبَسُّمٌ وَ كَأَنَّهَا الظَّبْيَةُ الرَّنَاءُ، تَضْحَكُ فَيَضْحَكُ
لِضْحَكِهَا الصَّبَاحُ وَ الْمَسَاءُ. تَمْشِي فَيَنْخَلِجُ فِي قَلْبِي
مَجَازُ الذِّكَاةِ.

وَ لَمَّا رَأَتْ حَيْرَتِي مُمَدَّدَةً رَشَّتْ وَجْهِي بِمَاءِ الْيَقِينِ،
وَكَانَتْ رَشَاتِهَا خُرَافَاتٍ مُمَجَّدَةٍ. قَالَتْ: هَا خَاتَمُكَ وَهَا
بِنَصْرِي... قُلْتُ: وَ هَا الْفَرَّاشَةُ تَرُوهُ بِمَنْظَرٍ...

عَيْنَاكِ الْجَمِيلَتَانِ شِعْرٌ أَجْمَلُ، يَقُولُ خِيَالًا، يَقُولُ
سَرَابًا... وَيَنْسُجُ الْعِظَرَ هَدِيَّةً لِلنَّهْرِ الظَّمَانِ.

...

عَيْنَاكِ حَرْفَانِ سَابِحَانِ: مَرَّةً فِي عَيْنِ الشَّمْسِ، وَمَرَاتٍ
أُخْرَى فِي عَقْلِ الْقَمَرِ تَتَلَوَانِ شَكْلَ الْمِحْرَابِ وَهُمَا
نَاعِستَانِ.

...

عَيْنَاكِ لَا تَنَامَانِ إِلَّا إِذَا نَامَ الرَّمَزُ. هُدْبٌ لَا يَلِيقُ بِهِ
الْعَمْرُ. حَتَّى إِذَا عَمَزَتَا ازْتَدَّ عَنْ كُفْرِهِ الشَّيْطَانِ.

...

عَيْنَاكِ نَافِذَتَانِ، وَالتَّبْحُرُ طِفْلٌ شَقِيٌّ يُلَاعِبُ غَجَرَ
الشَّرْفَتَيْنِ... يَمُدُّ الْمُقَلَّ مُوجًا، حَتَّى إِذَا تَعَبَ التَّبْحُرُ
اسْتَلْقَى طَرِيفًا يُهْدِي إِلَى السَّوَادِ مَزْجَانًا وَ سِفْرَ
عُفْيَانِ.

...

عَيْنَاكَ... بَرْدٌ وَ سَلَامٌ. وَ عَيْنَاكَ فِي نَفْسِ الْآنِ صَهْدٌ
وَ كَلَامٌ وَ دُخَانٌ. تَقْرَأَنِ خَبَايَا الْوَرْدِ كَمَا تَقْرَأَنِ شَكْلَ
الْكُونِ إِذَا هُوَ غَامِضٌ وَ عَزِيَانٌ.

...

عَيْنَاكَ... شَجَرَتَانِ صَامِتَتَانِ. بَعْضُ الْخُضْرَةِ فِيهَا ثَمَرٌ،
وَ الْبَعْضُ الْآخِرُ حَجْرٌ... وَ بَاقِي الْمَطَرِ سَحَابٌ هَتْنَانٌ.

...

عَيْنَاكَ... سُؤَالٌ كَبِيرٌ، مِثْلَ طَيْفِ مُخَادِعٍ، مِثْلَ صَيْفِ
يَرَاوَعٍ. تَغْسِلَانِ سِرَّ الْمَاءِ فِي رَمْسِ الْغِنَاءِ ثُمَّ تَفِيضَانِ.

عَيْنَاكِ لَا تَحْتَاجَانِ إِلَى أَفْلَاكِ كَيْ تَرْحَلَا إِلَى فِكْرَةِ
السَّمَاءِ. خَفَّي الْمَجَادِيْفَ مِنْ رِيْشِ النَّوَارِسِ. وَاعْزِفِي
لَحْنَ الْمَاءِ، نِكَايَةً فِي خَرَسِ الْبَحْرِ.

ضَمِّي الْمَوْجَةَ الْعَارِيَةَ إِلَى صَدْرِكَ الْخُرَافِيِّ... دَثِّرِي
أَنْكِسَارَهَا الْمَجْنُونَ، بِتَقْوَى الْقَمَرِ، يَجُوبُ فِي رِحْلَتِهِ
الْيَوْمِيَّةِ فُؤَادَكَ النَّقِيِّ وَنَقَاءَكَ الْأَطْهَرِ.

وَ حِينَ اكْتَمَلَ نِصَابُ عَيْنَيْكَ كَحَلَّتْ بِصِيرَتِي بِنَبْرِ
الضَّوْءِ. ثُمَّ رَأَيْتُ، ثُمَّ كَانَتِ الرَّؤْيَا. وَبَيْنَ الْقُبُضِ
وَالْبَسْطِ، تَاهَتْ ضِفَافِي بَيْنَ خُصَلَتَيْنِ: وَاحِدَةً زَوَّجَتِ
الْغَيْمَاتِ إِلَى وَجَعِ الثَّرَى، وَثَانِيَةً صَفَّرَتِ ذِرَاعَايَ فِي
سِبَاحَةِ الثُّغْرِ وَ الشِّفَاةِ.

مَدَدْتُ يَدِي إِلَى رَمَادِ الرَّغْوَةِ، قَبَضْتُ عَلَى جِسْمِ وَرْدَةٍ.
كَانَتْ تَغْرَقُ. كُنْتُ أَغْرَقُ. وَكُنَّا لِدِمِ السَّكُونِ نُهْرِقُ.

نَجَوْنَا مِنْ أَسْطُورَةِ الْغُورِ وَ سَبَحْنَا حَتَّى كَلَّ فِيْنَا زَمَنُ
النَّجَاةِ.

خَرَجْنَا إِلَى مُطَلَقِ الرِّيحِ... افْتَرَشْنَا تَعَبَنَا اللَّذِيذِ. بَلَّلْنَا
العُشْبَ الطَّامِئَ ثُمَّ كَتَبْنَا... كَتَبْنَا عِلْمَ العِشْقِ، كَتَبْنَا
فَنَّ الرَّشْقِ لِعِدَاوَاتِ القِنَاعِ. وَأَدْنَا قِصَصَ السَّوَادِ،
وَأَتَبْنَا فِي مَقْعَدِنَا المُزْهِرِ وَرَدَاتِ اليَنَاعِ .

في العامِ الألفِ منْ تأريخِ الطوفانِ، وجذتْ عَيْنَيْكَ
خارجَ السَّفِينَةِ. فِي اليُمْنَى حَمَامَةٌ وَفِي اليُسْرَى
يَابِسَةٌ تَبْحُثُ عَنْ شَكْلِ لِهْذِي المَدِينَةِ. أمّا أنا... فقد
كانتْ قَبْضَتِي عَلَى خافِقِ النَّهارِ مَعْقُوفَةً وَحَزِينَةً.

وَلَمَّا أَدْرَكْنَا سَفَرَ المَاءِ خَلَفْنَا. حَمَدْنَا صَوْلَةَ العُشْبِ
فِي سَابِغِ العَطِشِ وَفِي سَابِغِ دركاتِ الرِّعْبِ. كُنَّا تَوَاماً
فِي لُغَةِ الجَمالِ، تَتوسَّدُ زِنْدَ الطَّهْرِ وَنَمسَحُ خَدَّ
العُيَماتِ بِمَنادِيلِ الجَلالِ.

وَكَمَّا جُرْحُنَا، كانتِ الأَرْضُ غائِرَةً وَبَعِيدَةً، وَكانتْ
طراوَةٌ دَمنا فِي مُطارِدَةِ الرِّيحِ عِينِدَةً. قَبْضُنَا عَلَى
مَناقيرِ الحَمامَةِ. رَسَمْنَا فِي أَجْنِحَتِها رَغْبَةَ السَّفِينَةِ
والمَوْجاتِ وَحُلماً لِغُضَنِ الزَّيتونَةِ، تُعَلِنُ لِلرَّابِيعِ

خَبَرَ وُصُولِ الْفَرَاشَاتِ... تَزُورُ الدَّمْعَاتِ فِيْنَا بِهَدَايَا
التَّرَابِ النَّادِرِ.

حَفْنَةً لِكُلِّ قَمَرٍ وَ لِكُلِّ النَّجْمَاتِ وَ لِكُلِّ شَرَرٍ وَ لِكُلِّ
الْمَلِكَاتِ. حَتَّى إِذَا اسْتَوَيْنَا عَلَى الْقَلْبِ وَ ارْتَوَيْنَا،
صَلَيْنَا عَلَى قِبْلَةِ الشَّمْسِ. مَلَأْنَا أَنْفُفَنَا عَبَقًا مِنْ
شُعَاعِ الْهَمِّسِ وَ شَرِبْنَا... حَتَّى انْتَشَى مِنَّا الضُّوءُ.
ثُمَّ لَمْتُ فِيْنَا التَّرَانِيمُ وَ اشْتَعَلَ بِنَا وَ فِيْنَا خَمْرُ
الْوَجْنَاتِ.

مَا كَانَ رَبِيعَ السَّفِينَةِ انْتِحَابًا، وَ لَا فَتَحَ كَفَّ الشَّمْسِ
لِضَبَابِ الْقُلُوبِ بَابًا. كُنَّا سَوَالِينِ فِي مجاديفِ الْغَرَقِ:
وَاحِدٌ غَرَسَ الشَّجَرَ عَلَى ناصِيَاتِ الْمَوْجِ، وَ ثَانٍ قَلَّمَ
أظْفَرَ الْمَاءِ، فَسَارَ الْمَاءُ إِلَى ضِفافِ السَّمَاءِ حَتَّى
اسْتَوَى عَلَى جُودِيَّ الْغِنَاءِ.

غَنَيْنَا وَ حَمَلْنَا الْأَغْنِيَاتِ فِي تَخْلِيقِ الْحَمَامَاتِ. بَلَّغْنَا
تُرَابَ الْأُمْنِيَاتِ وَ نَزَلْنَا... كُلُّ زَوْجٍ. نَشْمُ عَبَقَ النِّجَاةِ

وتساءلنا: أين السفينة الناجية؟ وأين نحن من ظمأ
الأثرية و السنبلات الراجية.

حملتك و حملتني خارج سيماء القهر. لنا ماؤنا وثرانا
و سفينة من شجر. و حمامتنا التي غادرت لم تغزل
في يباس البحر صوفنا. و كنا عباءة نسجتها كف
البذر. دثرنا الشوق في لغة التوق و حللنا معاً في
أقواس الفجر، يكلمنا الشجر المارق و يلبسنا الغرق
في دخان العناق. يلقي بروحينا في خوابي الخمر.

الآن قدمت و فكرت ثم رسمت من أجل مقلتيك
الناعستين لوحات من ذاكرة الريح. أستبيح ليلها
المنكسر و أخرج نهارها الجريح. أعجن في ألواني رمل
الزوبعات، و أفتح في عين البحر ظلال الصبايا
الفاتيات. أتبخر أنا كظل يتييم و أوجدك أنت مثل
وجد قديم.

التبسك و تلبسين في دخاني كل الصهيل الممكن،
نفساً يضطاد الخيول البرية في حقول النار والبزهان.

أَدْعُوكِ خَارِجَ مَادِبِ السَّامِ إِلَى أَعْرَاسِ الْحُورِيَّاتِ.
نُضِرُّمُ فِي جِدَارِيَّاتِ الْحَرِيرِ رَغْبَةَ الْأَصَابِعِ حِينَ تَظْمَأُ
إِلَى بَقَايَا اللَّيْلِ الرَّدِيمِ. وَنَعْرِفُ مَعَ شَيْطَانِنَا لَثَمَاتِ
الصَّبَاحِ عَلَى خَدِّ الْفَرَاشَاتِ الرَّجَاجِيَّةِ، تَشْدُو مَعَنَا
نَايَاتُ الْمَاءِ وَرَفْرَفَاتُ السَّيِّمِ.

كما ينامُ قُزَح

فِي دَمِي امْرَأَةً، وَ فِي فَمِي أُغْنِيَةَ قُزَحِيَّةِ الرَّيْنِ. تَسْكُبُ
الْمُشْهَدَ الْأَحْمَرَ فِي الْوَجْتَيْنِ.

أَعْرِفُ أَنَّهَا إِنْ مَالَتْ عَلَى أَعْطَافِ الْكَمَنْجَاتِ عَبَّرَتْ،
مِثْلَ فَرَاشَةِ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّارِ. وَأَنَّهَا إِنْ أَحْرَقَتْ
أَجْنَحَتَهَا فِي زَخْفِ الرَّمَادِ نَامَتْ الْأَلْوَانُ فِي قَلْبِهَا
الْمُتَّخَنِ بِالْجِرَاحِ... كَمَا يَنَامُ قُزَحُ فِي غُورِ الضُّبَابِ.

أَرَى فِي الْجَفْنِ النَّاعِيسِ كُلَّ مَسِيرَتِي الْخُرَافِيَّةِ. وَ أَرَى
فِي جَدَائِلِهَا النَّزْجِيسِيَّةَ سَفَرِي الْمَجْنُونِ. أَصَابِعِي تَقْرَأُ
عَبَقَ السَّوَادِ فِي عُطُورِ الْعَرْفِ كَقُرْنُفَلَاتٍ مُغْتَصَبَةٍ فِي
مَاءٍ سَاخِنِ.

فَأَقْرُؤُنِي طِفْلاً ذَكِيًّا يَحْدِسُ الْإِسْتِعَارَةَ قَبْلَ الشُّعْرَاءِ،
وَيَزُفُّ فِي ثُوبِ الْمَجَازِ وَ لَا يَزْحَلُ إِلَّا مُتْرَفًا فِي جُنُونِ
السُّؤَالِ.

يَتَلَمَّسُ صَفْقَ الْأَجْنِحَةِ حِينَ الْفَرَاشَاتُ تَلْعَبُ لُغْبَةً
تَتَخَفِي عَنْ خَوْفِ الْمَهَا النَّازِحَةِ مِنَ الْعُيُونِ
الْعَسَلِيَّةِ.

هَآ أَنَا الْآنَ أَعَوْمُ فِي الْهَدْبِ الْوَسْنَانِ. يَطْلُبُنِي الْمَاءُ فِي
فَوْضَى الْغَرَقِ. تَنْتَشِلُنِي الْأَحَاطُ دَمًا زَكِيَّ الْخُرُوفِ،
سَاحِرَ الْمَوْتِ... لَذِيذَ الْإِنْتِشَارِ.

فِي قَلْبِي شَجَرَةٌ وَ ظِلٌّ
وَأَشْيَاءُ غَامِضَةٌ.
وَهُنَاكَ، أَرَى الضَّوْءَ
وَلَا أَرَى الْقَوْسَ.
وَأَرَى امْرَأَةً
تُكَسِّرُ حَبَابَ الْجُوزِ.
وَتُخْصِي الثَّمَرَاتِ
فِي طَبَقٍ مِنْ رَمَادٍ...
تَمُدُّ يَدًا مَشْفُوقَةً،
تُطْعِمُنِي وَ لَا تَضْحَكُ...
قَالَ شَيْخِي فِي التَّأْوِيلِ:
هِيَ رُؤْيَا، لَا تَقْبَلُ التَّنْزِيلَ.
حَمَلْتُ خَيْبَتِي فِي صَدْرِي
ثُمَّ رَحَلْتُ...
أَجُوبُ مِسَاحَاتِ رُوحِي،
أَزُقُّ الْجَوَابَ

و بَاهَتَ الْكِتَابِ.
الْغِيَابُ كَانَ رِيحاً حَمَقَاءَ،
تَسَخَّرَ مِنْ خَطْوِي،
و تَقَرُّونِي جُرْحاً مَنُهوكَا...
ثُمَّ تُرْسِلُنِي شِبَهَ عَارٍ،
إِلَى مِحْرَابِ الْمَاءِ.
كَانَ الْبَحْرُ ضُحْكَاتٍ ضَبَائِيَّةَ
و الْقَارِبُ أَلُوْحاً مُنْسِيَّةَ.
قَالَتِ الرَّيْحُ : إِرْكَبْ.

قَلْتُ : أَمُوتُ...

قَالَتْ : إِرْكَبْ.

قَلْتُ : أَعْرُقُ...

قَالَتْ : إِرْكَبْ.

و لَمَّا امْتَطَيْتُ صَهْوَةَ الْحَتْفِ، قَادَتْنِي فَرَاشَةٌ بَحْرِيَّةً
إِلَى جَزِيرَةٍ خَضْرَاءَ. تَرَجَّلْتُ الْيَابِسَةَ الصَّامِتَةَ، وَرَأَيْتُ...
كَانَتْ هُنَاكَ، وَارِفَةً مَثَلِ صَفْصَافَةٍ، أَمِيرَةً بِلَا ظِلٍّ، وَ فِي
يَدَيْهَا طَبْقَانِ: وَاحِدٌ يَتَدَلَّى عِنْبًا. وَثَانٍ أَقْعَرٌ يُخْفِي
وَيُخَيِّفُ وَ أَجْدَرُ أَنْ يَبْعَثَنِي خَارِجَ الْعُرْسِ... ابْتَسَمَتْ
وَافْرَعَتْ كَفَّيْهَا مِنَ الضَّبَابِ. وَمَلَأْتَنِي مِنْ حُبِّ

الشَّمْسِ. أَخَذَتْ يَدِي، أَشَارَتْ إِلَى الْقُوَيْسِ... أَلْوَانُ
الرَّوْحِ تُمَجِّدُ الْجَلَالَ وَ تُرْسِلُنِي طِفْلاً نَهْمًا فِي أَعْرَاسِ
الْجَمَالِ. تَذَكَّرْتُ أَطْبَاقَ الرَّمَادِ وَ هَمَمْتُ بِالسُّؤَالِ.
قَالَتْ : اِتَّبِعْنِي وَ لَا تَلْتَفِتْ. لَمْ أَلْتَفِتْ... لِأَخْشِيَةِ أَنْ
أُفْسِدَ سَمْتَ النَّبُوءَةِ. وَ لَكِنْ خَشِيَةَ أَنْ أَضْيَعَ النَّظَرَ
خَارِجَ الْحُسْنِ الْمَغْمُوسِ فِي شَهْدِ الْوَصَالِ.

قالت: صَبَّ لِي
مِنْ سُلَافَةِ الْعِشْقِ قَدْحًا
قال: وجدتُ الإِنَاءَ
بِرُضايِكَ قَدْ صَدَحَا.
و لَمَّا مِلْتُ أَعْلَى
مِنْ تَزْيَاقِ الْمُدَامِ عَسَلًا
أَصَابَتَنِي عَطْرُ الْجَنَّةِ
و قَدْ صَادَنِي مَرَحًا.
فمالتُ مَنِّي الرُّوحُ سَكْرَى
قَدْ تَرَنَّحْتُ فِي مَدَاهَا تَرَنُّحًا.
عَجِبْتُ لِلْخَمْرِ تُسَكِّرُ
و هَذِي الْمُعْتَقَةُ
تُوقِظُ الْوَسْئَانَ قَدْ صَرَحَا
فَلَيْتَنِي فِي ثَغْرِهَا كَأَسًا
الْأَمْسِ الْوَرْدَ
أَقْتَرِفُهُ جَبَحًا

فَكُنْتُ شَبِيهَ النَّهَارِ
أَشْرَبُنِي عَلَى شِفَاهِ النَّارِ
وَاللَّهْبُ لِيَصْدُرِي
قَدْ شَرَحَا
قَالَتْ: صَبَّ لِي
مَنْ سُلَافَةِ الْعِشْقِ قَدَحَا
قُلْتُ: الْعِشْقُ أَنْتِ وَالْقَدْحُ أَنْتِ
وَمَا أَنَا إِلَّا شَارِبٌ قَدْ بَرَحَا

لا أنال حصتي

قَدَرِي أَنْ أوردَ الرَّمْلَ إلى وَجِهِ البَحْرِ، وَ لا أنالُ حِصَّتِي
إِلَّا مِنْ مَغَارِفِ المَوْجِ. أَسْرِقُ الرِّغْوَةَ بَعْدَ الرِّغْوَةِ.
أَمَّنِّي انكِسارَ الماءِ بِأُسْطُورَةٍ جَدِيدَةٍ... لا تَحْكُمُهَا
الْإِلَهَةُ، وَ لا يَمْشِطُ طَرِيقَها بَطْلٌ خُرَافِيٌّ... تَنْتَظِرُهُ
ناقِضَةُ العَظَلِ عَلى مِقْصَلَةِ القَوسِ العَنِيدِ.

ها أنا ثانياً، أتعبُ وَ لا أبالي، إن كانَ البَحْرُ سُؤالاً
أَسودُ أم كانَ فَتْحاً لِمَعَارِكِ الشِّكِّ وَ اليَقِينِ.

وَ ها أنا لا أبالي إن تَشَقَّقَ الماءُ، وَ أصابَ جُرْحِي بِمِلْحِ
المَوْجَةِ السَّابِغَةِ.

أمرُّ عَلى شَجَرِ التَّكْرارِ يَتَكَسَّرُ عَلى صَخْرٍ يُقِيمُ فِي
عُزْلَةِ الصَّوِّءِ وَ الظَّلامِ. يُرْسِلُنِي حَرِيقاً، يَأْكُلُ اخْتِراقَه...

يَلْعَنُ النَّارَ الَّتِي لَمْ تَرْفَعِ شِعَارَ الْحَنَفِ قَبْلَ عُرُوجِ
الرَّوْحِ...

تَأْكُدِي يَا سَيِّدَةَ الْإِشْتِعَالِ أَنِّي أَرْفُضُ شَفَقَةَ اللَّهِيبِ
مَادَامَ الْقَنْصُ الرَّخِيصُ لَا يُصِيبُ إِلَّا بَعْضَ الْجَسَدِ. أَنَا
الْبَعْضُ الْآخِرُ، أَشْتَهِي امْتِطَاءَ الْمَعْنَى، حِينَ الْمَعْنَى
يَكُونُ. وَ حِينَ الْكُونُ يُرْتَبِنِي صَغِيرًا فِي نَبَاتَاتِ الدَّمِ
كَبِيرًا لَا أَكْثَرُ لَصَخَبِ الرَّجْمِ...

أَصِيبُ الْعَدَمَ، قَبْلَ أَنْ يُصِيبَنِي... وَ أُرْسَلُ إِلَى آلِهَةِ
النَّهَائِيَّاتِ قَرَارَ رَفْضِي لِلْوِدَاعَاتِ... فَأَنَا كَائِنٌ مَشْرُوحٌ
حَتَّى النَّخَاعِ. وَ لَا غَدَ لِي إِلَّا مَا أُرْسِمُهُ بِبِقِيَمِي الْأَعْزَلِ،
وَ عَزَلَتِي الرَّمَادِيَّةِ.

هَآ أَنَا... أَوْلَدُ مَنْ جَدِيدٌ بِجَنَاحِ وَاحِدٍ. أَخْمَرِ الْخَوَافِي،
أَخْضِرِ التَّخْلِيقِ. وَ سَمَائِي شَطَّبَتْ مَطَرَهَا الْبَخِيلِ، ثُمَّ
أَثَرَتْ مَوْتِي، تَحْتَ جَذْوَعِ النَّخِيلِ...

قَصِيدَةٌ تَرْفُضُ شَكْلَ الْقَصِيدِ

قال لي: لا تُكْرِرْ نَفْيَكَ فِي الْكَلِمَاتِ فَالْصَّوْرَةَ مُسْتَدْرَكَةً.
قلتُ: إِذَنْ سَأَمْشِي فِي الْمَعْنَى، وَ لَا أَلْتَفِتُ لِحِصَادِ
الصَّهِيلِ.

قال: اقْتَرِحْ...

قلتُ: مُهْرَةٌ. وَ تَكُونُ مَعْجُونَةً فِي النَّارِ.

قال: هِيَ الْمُخْنَةُ، حَيْثُ لَا تَنْفَعُ التَّعَاوِيدُ وَ التَّعَاوِيمُ.

قلتُ: سَأَرْكُضُ، حَتَّى لَا يَأْسِرَنِي الظُّلُّ.

بَعْدَ ذَلِكَ بِقَرَابَةِ دَهْرٍ، تَحَسَّسْتُ الْمَكَانَ. لَمْ أَجِدْ إِلَّا
مُسَبَّحَةً مُعْظَرَةً وَ حَصِيرًا قَدِيمًا يَخْدِسُ الْكَلَامَ
وَ أَسْرَارَ الْأَمَامِ وَ يَخْكِي ثُمَّ يَخْكِي بَعْضَ الْمَعْنَى.

...

دمي لا يركض

لا يُبَاغِتْنِي الْمَوْتُ إِلَّا فِي حِضْنِ فِرَاشَةٍ بِيضَاء. لَا
يُبَاغِتْنِي إِلَّا وَدَمِي يَرْكُضُ، مِثْلَ قُبْلَةٍ تَفِيضُ فِي
السَّفَاهِ، وَتَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ فِي نَسْخِ الرَّفْرِفَةِ الْغَامِضَةِ.

...

أُذْكَرُ أَنْبِي فِي الْعَدِّ الْبَعِيدِ، وَفِي سَالِفِ الْإِسْتِقْبَالِ
أَرَاهَا تَمْسُحُ جَبِينِي مِنْ ثِقَافَةِ الْخَوْفِ. بَكَفٍّ مِنْ
حَرِيرٍ. تَزْبُتُ عَلَي صَدْرِي مِثْلَ نَبِيَّةٍ. تَفْتَحُ فِي عَيْنِي
جَنَّةَ اللَّهِ. ثُمَّ تَضَعُ فِي فَمِي قُرْآنًا، وَتَسْتَغْفِرُ بِاسْمِي
مَنْ تَارِيخِي الْقَدِيمِ...

...

هِيَ الْأَنْ عَزَالَةٌ تَزْتَعُ فِي الرَّوَى، تُلْمِلِمُ الْجِرَاحَ الْعَتِيقَةَ
بِقُرْنَيْهَا الصَّغِيرَيْنِ. وَتَدِبُّ عَلَى مَسَاحَاتِ الرُّوحِ
بِحَوَافِرٍ مِنْ قُطْنٍ. تَمْشِي عُصُوفًا وَتَمِيسُ مِثْلَ
النَّسَائِمِ ...

تَقْتَلِعُنِي مِنْ حُزْنِي، مِنْ فَرَاغِي وَ مِنْ وَزْنِي. تُرْسِلُنِي
أَثِيرًا بِلا قَدَمِينَ. أَدْرَعُ السَّحَابَ مُخْتَالًا، وَ أَقْتَفِي أَثَرَ
الْقَبْلِ الْقَدِيمَةِ...

...

تُبُوسُنِي الْغِزَالَةَ، وَعَلَى كَتِفِي تَرْسُمُ فَرَاشَةَ، فَأُبْعَثُ
طَائِرًا غَرِيبًا بِمِنْقَارٍ مِنْ ذَهَبٍ. أَحْلِقُ فِي عَيْنَيْهَا
الْكَحِيلَتَيْنِ، وَ أَعْزِفُ أَلْحَانَ الذَّهْوِلِ عَلَى أوتار
السَّمَاءِ.

...

أَمُوتُ الْآنَ قَرِيرَ الرُّوحِ. أُخْتَصِرُ الْبِدَايَاتِ وَ النِّهَايَاتِ
وَ كَلَّ تَارِيخِي الْمُنْسِيَّ فِي سَرِيرِ الْهَمِّسِ... تُلَقِّنُنِي
الشَّهَادَةَ، وَ تُرْسِلُنِي فِي مَقْبَرَاتِ الضُّوءِ شَهِيدًا، ابْنَ
السَّمْسِ.

...

لِبَلَابَةِ عَجْرِيَّةَ

مَثَل لِبَلَابَةِ عَجْرِيَّةَ
تَتَسَلَّقُ عَيْنِي
تَمْشِي فِي فَرْحِي الْوَسِيمِ.

...

تَمْشُطُ شَعْرِي الْأَفْتِرَاضِي،
ثُمَّ تَعْرِزُ فِي فُتْيِي الظَّامِئَةِ،
وَرَدَّةَ السِّدِيمِ.

...

أُزْهِرُ أَنَا
مَثَلِ صَدْرِ صَبِيٍّ،
عَشِيقَ ابْنَةِ الْجِيرَانِ.
وَ اكْتَشَفَ بَعْدَ حِينٍ،
أَنَّ الْمَوْتَ فِي مَنَادِيلِهَا الْمُلَوَّحَةِ
قَرَارًا سَلِيمِ.

...

كُنْتُ قَبْلَ قُبَلَةِ اللَّبْلَابَةِ،
صُبَّاراً يَهُوَى الصَّمْتِ،
يَأْكُلُ مَنْ عَجِينِ الشَّمْسِ
كَعْكَاتِ الْعُرْزَلَةِ،
مَغْمُوسَةً فِي مَاءِ الْحَيْنِ.
كَانَ الطَّيْنُ صَدِيقِي الْمَفْضَلِ...
وَالصَّبَاحُ مَاسِكَ أَسْرَارِي الْوَرْدِيَّةِ.
اللَّيْلُ كَانَ فَاضِحِي.
وَأَنْتِ كُنْتِ الْمَتَوَاطِئَةَ اللَّذِيذَةَ،
تُقَشِّرِينَ بَعْضَ رُوحِي
فِي آيَاتِ الْجُرْحِ الْكَلِيمِ.

...

لَمْ أَكُ أَذْرِكُ حِينَهَا
أَنَّ الشَّمْسَ تَمُدُّ لِكَ كَفًّا
وَتَسْتَجِدِّي مِنْكَ
بَعْضَ الْحِنَاءِ،
حِينَ يُعَرِّي أَخْلَامَهَا
فُضْلُ الشِّتَاءِ.

كانت تفرح مثل طفلة،
بزخرفة بنصرها المشتعل
في رقصة باقي الأنايل،
حين الأنايل
تتزوج شكل الفراشات،
و حين الفراشات رسائل،
تقدح دم التديم.

...

و كنت أنا ذلكم التديم
أمهدني لعذاب أسطورة.
أرحل في تفاصيلها،
أركب الموج والصباب
مثل أوليس
لا أشكو من ظهري المكسور،
لا تقهرني الأسوار المنيعة،
و لا المرايا الغادرة
و لا هدايا الخديعة.
كنت ذاك الفارس المنتظر،
أرّم جدارات الحب الرديم.

...
أَعْرِفُ أَنَّ امْرَأَةً
صَاغَ اللَّهُ رُوحَهَا
مِنَ الْغَيْمِ وَالزَّعْتَرِ.
حَتَّى إِذَا عَطِشْتُ رُوحِي،
كَانَتْ لِي نِعْمَ الْكُوْثَرِ.
وَ كُنْتُ فِي عَيْنَيْهَا
ذَاكَ الطِّفْلَ الْمُحْظُوظَ
بِقِطْعَةِ السَّكَّرِ.
وَ كَانَتْ لِي قَاصِدَةً
أَنْشُرُهَا فَخُوراً
عَلَى مَسَامِعِ الْقَمَرِ الْغَرِيمِ.
...

تَرُسُمَهَا

يَرُسُمَهَا الْقَمَرُ ضَوْءًا،
تَهْطِلُ مِنْ رُوحِهِ غَيْمَاتٍ.
تَرُسُمَهَا الشَّمْسُ شُعَاعًا
يُرَمِّمُ فِي الْوَجَعِ نَايَاتٍ.
تَرُسُمَهَا كَفِّي أَيْقُونَةً
تَشْرَبُ فِي الْجَمَالِ كُلَّ الْعَايَاتِ...

أنا...

حبراً يدرفني الليل إلى الصباح...
وروحى حورية، تمارس فن العراء...
تحدثني مقاماتٌ حلّاجيةٌ
أنِ اغبثُ
أيها المشتعل بالأقفال.
وانتهك كل الحجرات.
فما وراء الباب
سوى الهمسات،
وأسرار الظلام الجميله.

طين...
.....

اليوم لي.
وعدي قَمَطْرٌ مُغْلَقٌ...
رُوحِي أَمْوَاجٌ، دَوْرَاتٌ، مَسَافَاتٌ...
وجسدي هَبَاءٌ ثَقِيلٌ.
أَمَّا إِسْمِي
فَهُوَ طِينٌ مَدَنِيٌّ

...

صفصافة تلعب الحصوات

...

و لَقَدْ أَدْرَكْتُ الصَّفْصَافَةَ

فِي زَمَنِ الشُّرُودِ.

تُقَلِّمُ أَضَافِرَهَا

غَيْبَةً عَنِ الشُّهُودِ.

تَقْضِمُ خُضْرَتَهَا الْوَسِيمَةَ

سِرًّا... وَ جَهْرًا

تَبْسِمُ وَرِيقَاتِهَا

لِلْغَدِ الْمَوْعُودِ.

يَزْحَفُ الْخَرِيفُ مَاكِرًا

يُغْوِي ظِلَّهَا.

تَبْوَسُ فِي حُمَى اللَّحَاءِ طَلَّهَا...

وَ تَجْلِسُ الْقُرْفُصَاءَ

تَلْعَبُ لُعْبَةَ الْحَصَوَاتِ

فِي تَرْبٍ تَرْوِيهِ أَجْمَلُ الْغَادَاتِ
بِكِحِيلِ الْعُيُونِ
و مُشْرِقِ الْوَجْنَاتِ.

...

تَأْكُلُ مِنْ مَاضِيهَا
بَعْضَ الشَّعَاعِ.
و الْبَعْضُ الْبَاقِي
تَضْمُهُ إِلَى صَدْرِهَا الْمَنَاعِ.
تُرْسِلُ الْوَجَعَ عَارِيًّا
إِلَى قَارَاتِ الضُّوءِ.
تَهْزَأُ بِتَاجِ الْمَرَارَةِ
و تُضْرِمُ فِي سَوَادِ الْقَرْحِ
نَارَ الْإِنْتِظَارِ وَ الْيَنَاعِ.
تَسْخَرُ مِنْ حِكَايَاتِ الْبَوَارِ
تَعَشِّقُ الرَّبِيعَ وَ الْوِلَادَاتِ
وَ السُّبَاتِ الشُّتْوِيِّ
وَ ضِحِكَ الْغَيْمَاتِ
وَ مَدَاعِبَةَ الرِّيحِ
وَ عِنَاقَ الصَّبْرِ الْجَرِيحِ

فِي لُغَةِ الْمَاءِ
حِينَ الْمَاءِ يَسْبُلُ لِعَيْنَيْهَا
مَوَاعِيدَ خَمْرِ اللَّيَالِي.

...

هَا حِكَايَاتُ الْوَجَعِ
تَنْسَحِبُ مِنْ رَكُضِ الْأَفْنَانِ
فِي سَمَاوَاتِ الرَّضَى
بِقِسْمَةِ الدِّيَانِ.
وَهَا الصَّفْصَافَةُ
تَكْبُرُ جَدِيرَةً بِالسَّوَالِ
فِي عُنْفِ الْبُرْهَانِ.
تَغْمِسُ سَيْقَانَهَا الْمَرْمَرِيَّةَ
خَشِيَّةَ الْمُوتِ...

فِي لَهْوِ النَّهْرِ الْوَسْنَانِ
تَعْبَثُ بِالدَّوَائِرِ الْقُرْحِيَّةِ
فُرْحٌ مِنْ شَوْقٍ
وَفُرْحٌ مِنْ ذَوْقٍ...
وَفُرْحٌ يَتَلَاشَى بُخَاراً
رَشِيْقَ السَّفَرِ

فِي تَهْدُلِ الرُّوحِ
حِينَ الرُّوحُ تُغْنِي
رَقْصَةَ الْغَدِ الرَّانِ.

...

و لَقَدْ أذْرَكْتُ الصَّفْصَافَةَ
تَرْكُضُ فِي جِجْرِ الْجَدِّ
تُدَاعِبُ لِخَيْتِهِ الْخَصِيبَةَ
بِأَنَامِلِ عَجِيبَةٍ
قَدَّهَا غَدٌّ مَعْشُوقٌ
و زَانَهَا خَاتَمٌ
خُرَافِيٌّ مَرْشُوقٌ
صُوبَ الْغَمَامِ.
تُقَبِّلُ جَبِينِ الْجَدَّةِ
بِأَكْمَامِ الْيَاسَمِينِ وَ الْوَرْدِ.
تُشْعِلُ فِي قَلْبِ الصَّبَايَا
لِحْنَ الْغَزَالَاتِ
و رُكُضَ الْفَرَاشَاتِ.
تَغْرِسُ فِي خُدُودِهِنَّ
أَجْمَلَ الْحُمْرَةِ وَ الْهَدَايَا...

تحوك في وصلِ البُدورِ
لَيْلاً في جَلَسَاتِ الخُدرِ
أعرق الحكايا.
و تمسحُ بظلمها المجنونِ
عَطَشَ الترابِ
حينَ الترابُ يشْتاقُ
إلى حَدِيثِ المَرايا.

...

و ها الصِّفْصافَةُ
تُرْسِلُ الوجعَ ورقاً ذابلاً.
لا يَرْجِعُ...
و تَرْجِعُ الصَّبِيَّةُ الذَكِيَّةُ
رَبِيعاً لِشْتاءِ بَرِّيِّ
عاشَ رِوايَتَهُ
غَيْثاً وَاِبْلا.

...

...
أَمُرُّ عَلَى مَجَازِ هَذَا اللَّيْلِ انْهِمَاراً لِشَوْكِ يَصُوغُنِي
شَجْراً مَجْنُوناً، بَاهَتِ الصُّرَاخُ، مَعْقُوفَ الْأَحْلَامِ، فَقِيراً
مِنْ حِصَّةِ الْفَرَاشَاتِ.

وَحَدَهُ الضُّوءُ، كَانَ يُعْرَجُ سَجَّاداً فَارِسِيَّ الرَّنِينِ عَلَى
أَعْتَابِ السَّمْرِ الْأَخِيرِ.

لَمْ يَجِدْ بَرْدًا عِنْدَ بَائِعَةِ الشَّفَاهِ. وَوَجَدَ الظَّمَأَ سَيِّدًا.
فَمَنْ يَسْقِي هَذَا الإِمْتِدَادَ الْمُتَرَنَّحَ فِي تَضَارِيْسِ
الرُّوحِ؟ مَنْ يَنْجُرُ لِعَيْنَيْكَ مَزَامِيرَ قَدَّهَا الْقَصْبُ مِنْ
شُرُودِ؟ ...

النَّيَّاتُ عَشِيَّاتٌ مُذَهَّبَةٌ بِالْقَوَافِي الْحَزِينَةِ، وَالْجُرْحُ
بِنَفْسِجٍ يَتَّقَاسُمُ الْأَلْوَاخَ وَالْوَصَايَا، لِنُبُوَّةٍ عَابِرَةٍ مِنْ

الْحَدَقَاتِ إِلَى تُخُومِ الْجَسَدِ الْبَحْرِيِّ... غَابَ خَلْفَ
سَدِيمِ الْوَجَعِ، يَرْقُصُ مَذْبُوحاً عَلَى صَفِيحِ الضَّبَابِ...
يَشْرَبُ عَطَشَ النَّوَارِسِ الْمُنْكَسِرَةِ. وَفِي مَرَايَا الْقَلْبِ
يَنْحَنِي الْخَطُوسُ لِسَيِّدَةِ الْخَطُوبِ، تَقْتَفِي لَوْنَ السَّمَاءِ
وَتُرَاوِعُ فِي رَيْثِ الْغَرَالَاتِ أَصَابِعِي وَالضُّوءَ وَعَبَثَ
الْفَرَاشَاتِ.

...

نظمتُ القصيدة بقرية "ماكْرَمَان"
جنوب المغرب، شتنبر 1998

فهرست القصائد

5	إضاءة
7	غزلية تليق بك
9	حافية على ضفاف قافية
10	هودج الماء
12	ترنيمة العينين
13	شجرة راقصة
15	أنا طبيعي
16	عن طُهر قلب
18	كيف دمي يشيخ
19	قبلة استثنائية
20	مدى أزرق
22	شعاع مدّع
24	جهاتي الأربعة
25	تأويل الريح
27	عناق

29	تماثيل
31	شركة الروح
32	مثل دخان
33	آخر موجة
34	لشرونا عنوان
36	وسن
37	وجد الواصل في خديه
38	هي كما وصفها الليل
39	هو في عينيها
40	سمراء
41	نزهة الإشارات
42	قلق الياسمين
44	سيرة لهذا التراب المنسي
47	أنثى الغيم
48	سموق
49	مناديل من خزامى
51	صيحة الماء
53	صه صه
54	كف صفصافة

56	صرخة أيقونة
59	حالة تسلل
61	خاتم الفراشات
64	عيناك
66	رماد الرغبة
68	على خافق النهار
72	كما ينام قزح
74	رؤيا
77	نشيد الروح
79	لا أنال حصتي
81	قصيدة ترفض شكل القصيدة
82	دمي لا يركض
84	لبلاية غجرية
88	نرسمها
89	أنا...
90	طين...
91	صفصافة تلعب الحصوات
96	ما كُرمان

نورالدين حنينه أبو خالمة



سيلوييه في عباءة خضراء

مَا كَانَ رَبِيعُ السَّفِينَةِ ائْتِحَابًا،
و لَا فَتْحَ كَفِّ الشَّمْسِ
لِضَبَابِ الْقُلُوبِ بَابًا. كُنَّا
سُؤَالَيْنَ فِي مَجَادِفِ الْعَرَقِ:
وَاحِدٌ عَرَسَ الشَّجَرَ عَلَى
نَاصِيَاتِ الْمَوْجِ، وَ تَانَ قَلَمَ
أُظَافِرِ الْمَاءِ، فَسَارَ الْمَاءُ إِلَى
ضِيفَافِ السَّمَاءِ حَتَّى اسْتَوَى
عَلَى جُودِيِّ الْغِنَاءِ.
